الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

جامعة عبد الرّحمن ميرة – بجاية–
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربيّ

Université A,MIRA de Béjaia
Faculté des Lettres et des Langue
Département d'Arabe

محاضرات مقياس: الدّرس الصّوتيّ العربيّ القديم

المستوى: ماستر 01 **التّخصّص:** لسانيات عربيّة **الأستاذة:** ورديّة قلاز

الوحدة: الأساسيّة 01 **المعامل:** 02 **الرّصيد:** 04

برنامج السّداسيّ الأوّل في مقياس الدّرس الصّوتيّ العربيّ القديم

1. إرهاصات الدّرس الصّوتي عند العرب.
2. مدخل اصطلاحي، تاريخيّ، ومفهوميّ.
3. التّعريف بالصّوت اللّغويّ (الحدود والمفاهيم).
4. مواضع نطق الحروف العربيّة وحدودها.
5. مقاطع الكلمة في اللّغة العربيّة.
6. الدّرس الصّوتيّ وعلوم اللّغة.
7. صفات الأصوات العربيّة عند القدامى.
8. اتّجاهات الدّرس الصّوتيّ عند العرب.
9. الاتّجاه اللّغويّ في دراسة الأصوات العربيّة (سيبويه، ابن جنّي).
10. الاتّجاه التّجويديّ والقراءات.
11. الاتّجاه العلميّ (ابن سينا).
12. ترتيب الأصوات عند علماء العربيّة.
13. الخليل والتّرتيب الفيزيولوجي.

- **المصادر والمراجع:**

1. الصّوتيات العربيّة لمنصور بن محمّد الغامديّ.
2. مقدّمة في علم أصوات العربيّة لعبد الفتاح عبد العليم البركاويّ.
3. دروس في علم أصوات العربيّة لجان كانتينو.
4. رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا.
5. أصوات اللّغة مخارجها وصفاتها وشوائبها بين الدّرس الصّوتيّ والآداء القرآني لفراس الطّائي.
6. الأصوات اللّغويّة لابراهيم أنيس.
7. الدّراسات اللّهجيّة والصّوتيّة عند ابن جنّي لحاسم سعيد النّعيمي.
8. المدخل إلى علم أصوات العربيّة لغانم قدوري الحمد.
9. دراسة الصّوت اللّغويّ لأحمد مختار عمر.
10. سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان ابن جنّي.
11. علم الأصوات العربيّة لمحمّد جواد النّوري.
12. في صوتيات العربيّة لمحيّ الدّين رمضان.
13. الصّوتيات والفنولوجيا لمصطفى حركات.
14. في البحث الصّوتيّ عند العرب لخليل ابراهيم العطيّة.
15. نظرة متعمّقة في علم الأصوات لهلا السّعيد.

المحاضرة1: إرهاصات الدّرس الصوتيّ عند العرب.

تمهيد: يرتبط ظهور الدّرس الصّوتي العربيّ بنشأة الدّراسات اللّغويّة العربيّة، والّتي يمكن أن يؤرّخ لبدئها بنزول القرآن الكريم وتدوينه، ثمّ تلاوته وتعليم قراءته، وإذا كانت الملاحظات اللّغويّة الأولى قد صدرت عن عدد من أولى الأمر والعلماء من الصّحابة والتّابعين بصورة شفهيّة، فإنّ الجهد اللّغويّ المنظّم بدأ بالأوراق الأربعة الّتي ذكر ابن النّديم (ت380هـ) أنّه شاهدها بخط يحيى ابن يعمر (ت129هـ)، عن أبي الأسود الدّؤليّ (ت69هـ)، والّتي فيها كلام عن الفاعل والمفعول، وبعدها اتّسعت حركة جمع اللّغة، واستخلاص قواعدها حتّى انتهى ذلك الجهد بظهور الكتب الجامعة الّتي تضم ألفاظ اللّغة عل نحو ما نجده في المعجمات كمعجم العين للخليل ابن أحمد الفراهدي (ت170هـ)، أو بعض قواعد اللّغة عل نحو ما نجده في كتاب سيبويه (180هـ)، وغيره من كتب النّحويين واللّغويين.

1. **البحث الصّوتيّ عند العرب:** كانت بواكير الدّرس الصّوتيّ العربيّ قد جاءت مختلطة بالدّراسات اللّغويّة والنّحويّة الأولى، فنجد في مقدّمة معجم العين ملاحظات عن أصوات اللّغة. كما تضمّن كتاب سيبويه مباحث مهمّة عن أصوات العربيّة بخاصّة في باب الإدغام، وباب الوقف، ولا يكاد يخلو بعد ذلك كتاب قديم من الكتب المؤلّفة في النّحو أو الصّرف من مباحث صوتيّة. وتطوّرت المباحث الصّوتيّة العربيّة في القرن الرّابع والخامس للهجرة إلى علم مستقلّ كما يبدو ذلك عند ابن جنّي في كتابه (سرّ صناعة الإعراب) حيث قال في مقدّمته: "رسمت أطال اللّه بقاءك... أن أضع كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كلّ حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب." ثمّ قال: "وسأتحشّم لطاعتك المضض بانكشاف أسرار هذا العلم." ويبيّن ابن جنّي ما يريده بقوله (هذا العلم) حين قال: "ولكن هذا القبيل من هذا العلم أعني علم الأصوات والحروف." ولا يقلّل من شأن كتاب (سر صناعة الإعراب) في ميدان الدّرس الصّوتي العربيّ ما ورد فيه من مباحث صرفيّة ولغويّة أخرى.

ويظهر استقلال هذا العلم بصورة أكثر جلاء لدى علماء التّجويد الّذين خصّصوا للمباحث الصّوتيّة المتعلّقة بقراءة القرآن الكريم كتبا مستقلّة عن كتب القراءات، وأطلقوا عليها اسم علم التّجويد، وكان بدء ذلك في القرن الرّابع الهجري على يدّ (أبي مزاحم الخاقاني) الّذي نظّم قصيدة في حسن آداء القرآن قال عنها ابن الجزري إنّها أوّل مصنّف في علم التّجويد، وتبيّن بذلك الكتب المؤلّفة في علم التّجويد في القرن الخامس الّتي وصلت إلينا اكتمال صورة هذا العلم وشمول مباحثه، ودراسة أصوات اللّغة من جميع الوجوه وكان (الحسن بن القاسم المرادي) قد لخّص مباحث علم التّجويد بقوله: "إنّ تجويد القراءة يتوقّف على أربعة أمور هي:

1- معرفة مخارج الحروف؛

2- معرفة صفاتها؛

3- معرفة ما يتجدّد لها بسبب التّركيب من الأحكام؛

4- رياضة اللّسان بذلك وكثرة التّكرار."

ولا يكاد كتاب من كتب علم التّجويد يخلو من الأمور الثّلاثة الأولى: المخارج والصّفات، وأحكام التّركيب، وهي الموضوعات الرّئيسة في أصوات العربيّة قديما وحديثا. أمّا الأمر الرّابع فإنّه ذو جانب عمليّ يتعلّق بالتّلقي من المعلّم وتمرين اللّسان على النّطق الصّحيح.

وظلّت المباحث الصّوتيّة تحتل مكانة بارزة في كتب النّحو وكتب الصّرف إلى عصور متأخّرة. أمّا في كتب علم التّجويد فإنّ الاهتمام بها قد استمرّ عل نحو واضح لا سيّما في شروح المقدّمة الجزريّة لـ: أبي الخير محمّد بن الجزري (ت833هـ)، وعلى يد عدد من العلماء المتأخّرين الّذين عُنوا بتعليم قراءة القرآن الكريم.

نشأت الدّراسات الصّوتيّة العربيّة نشأة أصيلة وتطوّرت تطوّرا ذاتيا استجابة لحاجة النّاطقين بالعربيّة والدّارسين لقواعدها، وقطعت في ذلك شوطا بعيدا وجاءت الدّراسات الصّوتيّة العربيّة الحديثة مؤسّسة عليه ومكمّلة له.

وكما أشرنا من قبل لقد نشأ البحث الصّوتي عند العرب في بدايته جزءا من أجزاء النّحو بمعناه العام ثمّ استعاره بعد ذلك أهل الآداء والمقرءون، وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم، وبدأت هذه الدّراسات الصّوتيّة في اللّغة العربيّة بمحاولة أبي الأسود الدّؤلي الّذي وضع رموز صوتيّة للحركات في القرآن الكريم، إلّا أنّ هذه الدّراسة لم تدخل مرحلة النّضج إلّا في القرن الثّاني للهجري على يد الخليل ابن أحمد الفراهدي، وتلميذه النّجيب سيبويه.

2. جهود علماء العربية في الدرس الصوتي: لم يرد مصطلح الصّوت بالمفهوم الحديث عند القدامى و لم يفرق علماء العربية بين الصوت والحرف أو بين ما هو مادي محسوس وما هو معنوي، أو بين ما هو وحدة صوتية مجردة، وبين ما هو وحدة صوتية منغمة. وعلى الرغم مما تميزت به دراسات الخليل وسيبويه وأتباعهما من وصف دقيق لمخارج الأصوات وصفاتها، فإنّهم لم يميزوا بين الصوت والحرف باستثناء ابن جنّي ويتضح ذلك من خلال معظم تعاريفهما؛ يقول سيبويه: "فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع من النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت". فمصطلح الصوت هنا أقرب إلى النفس وما يتعلق بمحدثات الصوت منه إلى تلك الوحدة الذهنية المجردة التي حددها الغربيون المحدثون من خلال مصطلحات دقيقة، وسنتطرّق لعرض البعض من هذه الجهود.

2. 1- جهود الخليل ابن أحمد الفراهدي: هو من تحدّث في مقدّمة معجمه العين عن مخارج الحروف وقسّمها إل صحيحة ومعتلّة. كما تحدّث عن الذّلاقة والإصمات، ورتّب معجمه ترتيبا صوتيا مبتدئا بالحلق ومنتهيا بالشّفتين، ويقول من روى عنه كتاب العين: "نظر الخليل إلى الحروف كلّها وذاقها فصير أولاها بالابتداء أدخل حروف منها في الحلق، ووجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أوّل

الكتاب، ثمّ ما قرب منها الأرفع، فالأرفع حتّى أتى عل آخرها وهو الميم." وقد تحدّث في هذه المقدّمة عن تأليف الكلمة العربيّة، وأوضح أنّ الكلمات الرّباعيّة والخماسيّة لا تخلوا من حرف من حروف الذّلق والشّفويّة وهي: الراء، اللّام، النّون، الباء، الميم، الفاء، وقال الخليل في ذلك: "فإذا وردت عليك كلمة رباعيّة أو خماسيّة معراة من الحروف الذّلق أو الشّفويّة... فاعلم أنّ تلك الكّلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب." اعتمد الخليل في وصفه للأصوات من حيث مخارجها عل ما كان يحسّه بنفسه من اختلاف في أوضاع النّطق معها؛ أي عل العمليّة العضليّة الّتي يقوم بها المرء لدى صدور الصّوت، وعل وقع هذا الصّوت في أذن السّامع دون أن يكون لديه شيء من الإمكانات الحديثة، ومن دون معرفة بنظريّات التّشريح، وقد أيّد علم الأصوات الحديث كثيرا ما ذهب إليه بحسّه المرهف، وتوصّل إليه بعبقريّته الفذة.

2. 2- سيبويه والدّرس الصّوتيّ: أما سيبويه فقد انطلق في دراسته للأصوات العربيّة من منطلق صوتيّ بحث وهو: أثر تجاوز الحروف المتماثلة، والمتقاربة، والمتجانسة في عمليّة الإدغام، وقد تحدّث عن الإبدال والمضارعة في الصّوامت كما تحدّث عن الاتباع والإمالة في الحركات أو (المصوّتات)، وكان ما كتبه سيبويه عن مخارج الأصوات العربيّة، وصفاتها هو الأساس الّذي اعتمد عليه جلّ العلماء والباحثين العرب في ما بعد.

وكان من إبداعات هذا العالم الفذ تقسيمه للحروف العربيّة إلى حروف أصول وحروف فروع، وهذا يتّفق إلى حدّ كبير مع حديث الصّوتيين المحدثين من الوحدات الصّوتيّة والصّور الصّوتيّة.

2. 3- ابن جنّي والدّراسات الصّوتيّة: في القرن الرّابع للهجرة أخذت الدّراسة الصّوتيّة على يد أبي الفتح عثمان ابن جنّي مرحلة الاستقلال بما كتبه هذا الإمام العظيم في كتابه (سر الصناعة) من بحوث صوتيّة لم يكتف فيها بجمع آراء سابقيه، وإنّما كانت له في هذا الكتاب كما في غيره إضافات وتوضيحات وشروح جعلته المصدر الواقيّ لمن يريد معرفة التّفكير الصّوتي عند العرب، وتتلخّص المباحث الصّوتيّة في كتاب (سر صناعة الإعراب) في ما يلي:

- عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها؛
- وصف مخارج الحروف وهي الوحدات الصّوتيّة كما تُنطق في الفصحى وصفا تشريحيا دقيقا؛
- بيان الصّفات العامّة للحروف، وتقسيمها إلى أقسام مختلفة؛
- ما يُعرض للصّوت في بنية الكلمة من تغيّر يؤدي إلى الإعلال، أو الإبدال، أو الإدغام، أو النّقل أو الحذف؛
- نظريّة الفصاحة في اللّفظ المفرد، وأنّها راجعة إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج؛
- بيان الوظائف الّتي تنهض بها الوحدات الصّوتيّة عل كلّ حدة.

أدرك ابن جنّي ومن قبله سيبويه الفرق بين الفونيم أي الوحدة الصّوتيّ، والفون أي الصّورة الصّوتية وسمّى النّوع الأوّل بـ: الحروف الأصول، وتشمل حروف العربيّة التّسعة والعشرين، وسمى النّوع الآخر بالحروف الفروع، وقسّمها إل قسمين: حسنة يُؤخذ بها في القرآن الكريم، وفصيح الكلام وهي: النون الخفيفة –ويُقال الحفّية– والهمزة المخفّفة، وألف التّفخيم، وألف الإمالة، والشّين الّتي كالجيم... وغير مستحشة، وهي ثمانيّة لا يُؤخذ بها في القرآن، ولا في الشّعر وهي: الجيم الّتي كالكاف، والجيم كالشّين...إلخ.

ولا شكّ فيه أنّ النّوع الأوّل، وهو الحروف التسعة والعشرون يمثّل الوحدات الصّوتيّة (الفونيمات) الخاصّة باللّغة العربيّة بينما تشكل الأصوات الأخرى ما استحسن منها، وما استقبح مجرّد صور صوتيّة لهذه الحروف (فونات)، إذ لا يترتّب على تقابلها فرق في معاني الكلمات، فكلمة الضّحى مثلا: تؤدي المعنى نفسه أميلت ألفها أو لم تمل؛ لأنّ الفرق بين الإمالة وعدم الإمالة (الفتح) إنّما يرجع إل الصّورة الصّوتيّة؛ أي أنّه فرق في الفون، وليس في الفونيم، وبهذه التّفرقة تكون الملاحظات الخاصة بالدّراسة الفنولوجيّة قد بدأت على يد العلماء العرب قبل أن يعرفها العالم الحديث على يد مدرسة براق بفضل جهود تروبتسكي بما يزيد عن ألف عام.

2. 4– ابن سينا والدّرس الصّوتيّ: تقدّم البحث الصّوتي في القرن الخامس للهجري خطوة أخرى إلى الأمام بما أبدعه الفيلسوف ابن سينا من منهج تفرّد به في كتابه (أسباب حدوث الحروف) الّذي تناول فيه الصّوت الإنساني كظاهرة طبيعيّة؛ أي من النّاحية الفيزيائيّة فوصف الصّوت الثّقيل والحاد، والأملس والصّلب، والمتخلخل. كما تناول بعض المسائل الّتي تتعلّق بعلم الأصوات السّمعي والإدراكي، بالإضافة إلى اهتمامه الواضح بالنّاحية الفيسيولوجيّة، وبخاصّة ما يتعلّق من ذلك بتشريح الحنجرة واللّسان في الفصل الثّالث من كتابه، ومما يذكره التّاريخ لابن سينا أنّه لم يقتصر على وصف الأصوات العربيّة، وإنّما أضاف إليها وصف ما سمعه من أصوات غير عربيّة تنتمي إلى لغات أخرى ذكر منها الفارسيّة في الفصل الخامس من كتابه، وقارن بينها وبين الأصوات العربيّة، وكان لذلك جديرا بأن يكون المؤسّس الأوّل لعلم الأصوات العام والمقارن.

لم يقتصر البحث الصّوتي عند العرب على النّحويين واللّغويين، وعلماء الطّبيعة بل تناوله أيضا علماء التّجويد (الآداء القرآني) وعلماء البلاغة.

3. تصنيف الأصوات عند القدامى: بين كل من الخليل وسيبويه أن حروف العربية تسعة وعشرون وهي أصول "وتكون ستة وثلاثين حرفا بحروف هنّ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين... وتكون ثلاثة وأربعين حرفا... والأخيرة لا تتبين إلا بالمشافهة". تبقى فكرة الصوت بحسبه وحدة صوتية مجردة قد وجدت عند القدامى لكن مضمونها لم يتضح، فلم يفرق حينها بين الصوت والحرف بوصفه رمزا ثابتا.

واتجه سيبويه وأصحابه عند النظر في استنباط الحروف من الأصوات اتجاها عكس ما يراه المحدثون؛ ففي دراسة الصوتيات يكون اتجاه البحث الحديث من الأصوات إلى الحروف إذ ينظم الباحث ما لديه من أصوات جرت ملاحظتها ووصفها فيبوبها إلى مجموعات تسمى كل مجموعة منها حرفا وذلك كأن يمع الأصوات المختلفة الدّالة على النون مع اختلاف المخارج بين هذه الأصوات فيجعلها تحت عنوان واحد هو (حرف النون)، ولكن سيبويه وأصحابه حين تصدوا لتحليل الأصوات العربية كان بين أيديهم نظام صوتي كامل معروف ومشهور للغة العربية، وكانت الحروف التي يشتمل عليها هذا النظام قد جرى تطويعها للكتابة منذ زمن طويل، فكان لكل حرف رمز كتابي يدل عليه دون النظر إلى ما يندرج تحته من أصوات، فارتضوا هذا النظام الصوتي المشهور واتخذوه نقطة ابتداء في دراستهم للأصوات العربية.

4- ترتيب الأصوات في العربيّة: نستنتج مما سبق نرى أن الأصوات العربية التي تحت كل حرف في النظام الصوتي للعربية عند القدامى لا تعدو أن تكون صفة لهذا الحرف كأن تكون إدغاما له أو إقلابا أو إخفاء أو إمالة.... إلخ. وعلى هذا رأى سيبويه وأصحابه أن أصول حروف العربية (يقصد الأصوات الرئيسية لحروفها) تبلغ في عددها تسعة وعشرين حرفا هي: (ء، ا، هـ، ع، ح، غ، خ، ك، ق، ض، ج ش، ي، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و). ثم يضيف إلى ذلك ستة فروع أصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة (أي كثيرة الورود في كلام العرب) وتستحسن في قراءة القرآن وهي:

- النون الخفية: ويصفها سيبويه بالخفيفة، وهي التي تكون قبل حروف الفم (ت، ث، ج، د، ذ، ز، س ش، ص، ض، ط، ظ، ف، ق، ك). أما النون الخفيفة فهي أحد نونات التوكيد؛

- الهمزة الي بين بين: وهي همزة متحركة تكون بعد ألف أو بعد حركة فتصير في النطق مجرد خفقة صدرية لا يصاحبها إقفال للأوتار الصوتية نحو (أأنت قلت للناس). فإذا كانت الهمزة مفتوحة مكسورا ما قبلها قلبت ياء (إيت) أو مضموما ما قبلها قلبت واوا (أومن)؛

- الألف المائلة إمالة شديدة: وهي الألف الجانحة نحو الياء، وهي التي يقرأ بها القراء مثل في قوله تعالى: "والضى والليل إذا سجى" فيجعلون صوت الألف الأخيرة في (الضحى) و(سجى) كصوت الياء في نطق العامة في مصر لكلمة (بيت)؛

– **ألف التفخيم بلغة أهل الحجاز:** وهي ألف تستدير الشفتان قليلا عند نطقها نتيجة لحركة الفك الأسفل ويرتفع مؤخر اللسان قليلا فيصير الفم حجرة رنين في مجموعه صالحة لأن تنتج القيمة الصوتية المسماة التفخيم مثل كلمة (صلاة)؛

– **الشين الي كالجيم:** وهي الشين المجهورة التي تشبه صوت الجيم في اللهجة السورية فكان الناطقون بهذه الشين من العرب يجعلون نطق كلمة (أشدق) وكأنها أجدق؛

– **الصاد التي كالزاي:** وهي صاد مجهورة مفخمة، كما في نطق كلمة (مصدر) حيث تنطق (مزدر).

ثم يضيف سيبويه إلى ذلك حروفا ثمانية أخرى غير مستحسنة ولا كثيرة في كلام من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي:

– **الكاف التي بين الجيم والشين:** وهو ما يصفه النحاة بالكشكشة كنطق العراقيين لكلمة (كيف)؛

– **الجيم التي كالكاف:** وهي الجيم القاهرية في نطق كلمة (رجل) (Ragul).

– الجيم التي كالشين: وهي من أصوات الجيم التي لا ترد إلا في مواقع خاصة كما في كلمة (اشتمعوا) أي قبل تاء الافتعال فتنطق اشتمعوا .

– الضاد الضعيفة: فبعض العرب كانوا حين ينطقون كلمة تشتمل على صوت الثاء مثلوا بحرف مفخم مجهور يحدث في نطق الثاء شيء من عدوى التفخيم والجهر فتصير بذلك ضادا ضعيفة كما في (أثر).

– الصاد التي كالسين: فالصاد والسين تشتركان في المخرج والصفات كلها عدا أن الصاد مفخمة في حين أن السين مرققة، فإذا أشبهت الصاد السين فإنها قد تخلت عن صفة التفخيم إلى الترقيق، كما لو نطقنا (صابر) سابر.

– الطاء التي كالتاء: وهي كما في الحالة السابقة فقد تصبح (طال) تال.

– الظاء التي كالثاء: والفرق بين الظاء والثاء يكون في الجهر والهمس والتفخيم والترقيق، فإذا أشبهت الظاء الثاء فسيكون معنى ذلك أنها إما فقدت الجهر أو التفخيم أو كلاهما معا فتصير (ظالم) مثلا (ثالم).

– الباء التي كالفاء: وهي الباء الفارسية المقابلة ل (P) وهي مهموسة فكان العرب عند تعريبها يقلبونها (فاء) ومن ثمة أصبحت (برزده) (فرزدق).

المحاضرة2: مدخل اصطلاحي، تاريخيّ، ومفهومي للدّرس الصّوتي العربيّ.

تمهيد: إن العلماء الأوائل اعتنوا بالظواهر الصوتية عناية واضحة، لأن الصوتيات العربية نشأت في أحضان لغة القرآن، ونؤكد الآن أن عنايتهم بها كانت، بالدرجة الأولى، سعياً وراء هدف سام نبيل هو المحافظة على كتاب الله وصيانته من اللحن والتحريف، أضف إلى ذلك أنهم أدركوا منزلة الدراسة الصوتية في العلوم اللغوية وارتباطها الوثيق بما عالجوا من قضايا نحوية وصرفية ودلالية وبلاغية.

ثم إنّ علوم العرب اللغوية نشأت أول ما نشأت على السماع، فبه حملوا الشعر عن الرواة وحملوا القرآن الكريم والحديث النبوي، وعليه اعتمدوا في نقد عيوب الشّعر، وفي تقعيد القواعد، وعليه أيضاً انبنى علم التّجويد والقراءات، وعلى هدي منه اتخذت بعض معايير الفصاحة وبه قبست لغات القبائل المذمومة ولهجاتها.

1. جوانب علم الأصوات: تمرُّ عمليَّة الكلام بخمس خطوات، أو أحداث متتالية مترابطة، يقود بعضها إلى بعض، حتَّى يتم التواصل بين المتكلم والسامع، وتلك الأحداث . بترتيب وقوعها . هي:

– الأحداث النفسيَّة والعمليات العقليَّة التي تجري في ذهن المتكلم قبل الكلام، أو أثناءه؛

– عملية إصدار الكلام الممثَّل في أصوات ينتجها الجهاز المسمَّى جهاز النّطق؛

– الموجات والذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلِّم وأذن السّامع؛

– العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي لدى السّامع؛

– الأحداث النفسية والعمليات التي تجري في ذهن السامع عند سماعه للكلام واستقباله للموجات والذبذبات الصوتية المنقولة إليه بوساطة الهواء.

ويُفترض أن يقوم عالم الأصوات بالنَّظر في الخطوات الخمس المذكورة، حتى يحيط بجوانب موضوعه، غير أن معظم الدارسين من علماء الأصوات رأوا إهمال الجانبين الأول والخامس وعدم التعرُّض لهما بالدرس، وذلك لأن الجانبين المشار إليهما جانبان نفسيّان عقليّان، وموضوع عالم اللغة درس الأحداث اللغوية المنطوقة بالفعل، ولأن هذه العمليات النفسية العقليّة معقدَّة وغامضة.

يتَّضح ممّا سبق أن أصوات الكلام لها ثلاثة جوانب متَّصلة لا يمكن تصور أحدها دون الآخر، وهذه الجوانب هي:

– جانب إصدار الأصوات، أو الجانب النُّطقيّ، ويشار إليه بالجانب الفسيولوجيّ، العضويّ للأصوات؛

– جانب الانتقال، أو الانتشار في أو الجانب الفيزيائي؛

– جانب استقبال الصوت، أو الجانب السمعي، ويتمثَّل في الذبذبات التي تؤثّر على طبلة أذن السامع.

2. أسباب العناية بالدّرس الصّوتي: ويمكن تلخيص هذه الأسباب في ما يلي:

2. 1- مقاومة اللّحن والحفاظ على اللّغة: دفع دخول العرب الاسلام واختلاط العرب الفاتحين بأهل البلاد المفتوحة إلى تفشي اللّحن وفساد السّلائق، حتّى وصلت الآفة إلى البلغاء من حلفاء وأمراء كعبد الملك بن مروان، والحجاج ابن يوسف الثّقفي، وبلغ الأمر حتّى أصحاب قراء القرآن. ممّا استدعى القيام بضبط الأصوات والكلام، فنشأ علم النّحو، وزادت أهميّة مقاومة اللّحن مع امتداد الزّمن وتطاوله، والابتعاد عن موطن الفصاحة في الجزيرة العربيّة.

2. 2- خدمة القرآن الكريم: دفع رغبة البعض في قراءة القرآن إلى إيجاد علم يضبط أصول القراءة للوصول إلى النّطق السّليم، ومن هنا كان الاهتمام بالقراءات القرآنيّة وضبط قواعدها من اتّصال السّند بالنبيّ وموافقة رسم المصحف الشّريف، وخضوعها لقواعد اللّغة العربيّة، وقد جاء علم التّجويد – هذا العلم السّماعيّ– لمساعدة الأجيال الجديدة من عرب وعجم على قراءة القرآن وضبط قراءاته.

2. 3- استكمال الدّرس اللّغويّ: بعد ضبط النّحو والصّرف جانبا مهما من اللّغة، ثمّ جاء علم الأصوات ليستكمل جهود هذين العلمين، وقد بدأ هذا العلم الخليل ابن أحمد الفراهدي وتابعه سيبويه والنّحاة من بعده.

2. 4- الاستجابة للنّهوض العلميّ والثّقافة الجديدة: دفعت ثقافة العصر الجديدة والمتأثّرة بالاتّصال بالثّقافات الأخرى إلى إيجاد حضارة عربيّة إسلاميّة شارك فيها الجميع وجنى الكلّ ثمراتها.

3. مصادر علم الأصوات عند العرب: وهي:

3. 1- القراءات القرآنيّة: القراءات القرآنيّة علم سماعيّ يُنقل مشفاهة غايته هي ضبط نطق قراءة القرآن بشكل سليم. أمّا الكتابة القرآنيّة فضبطت من زمن عثمان ابن عفان وصارت مرجعا وحجّة عند الاختلاف وقد ركّزت القراءة القرآنيّة على مسائل صوتيّة كالتقاء السّاكنين، والتّرخيم، فأداء القراءات الصّوتي لفت انتباه اللّغويين الّذين كانوا قراء أيضا كأبي عمرو بن العلاء.

3. 2- المعارف اللّغويّة: لم يعرف العرب العلوم بشكلها الحديث؛ بل إنّ غاية ما يقصد بالعلم عندهم عبارة عن معارف يشوب بعضها عدم الدّقة والكثير من عدم التّنظيم، وعدم وجود منهج محدّد، وبخاصّة

في ميدان اللّغة، ففي جمع اللّغة مثلا جمع اللّغويون اللّهجات واللّغات دون ضوابط، ثمّ بدأ ذلك الجمع يأخذ شكل الرّسال المحدّدة الموضوع، فالمعاجم، ثم المعاجم المخصّصة مثل معجم المخصّص الّذي ضمّ أبوابا في خلق الإنسان، فالعرب عرفوا وسموا كلّ دقائق الجسم الإنسانيّ، وقارنوا بينه وبين المخلوقات الأخرى، وضبطوها، ومن هنا كان عمل الخليل ومصطلحاته في مقدّمة العين (الحلق، اللّسان، اللّهاة) نابعة عن بيئة عربيّة، ومنها نستنتج ألّا تأثير الثّقافات الأخرى في نشوء علم الأصوات، فالعرب طوّروا ما كان عندهم. أمّا الأمم الأخرى فالعلوم عندها نشأت حديثا.

3. 3- التّجارب العلميّة: من مثل عمل الخليل في معجمه العين في تجربته في تذوق الحروف، ونطقها ساكنة مسبوقة بهمزة وصل، ونظره وتدبّره كلّه من طرف العلم في الملاحظة والتّجربة.

3. 4- العلوم الطّبيعيّة والفيزيائيّة: مصدر متأخّر زمانا نشأ عن اختلاط العرب بالأمم الأخرى وتعتبر (رسالة أسباب حدوث الحروف) لابن سينا خير معبّر عن هذا التّأثير.

4. اتّجاهات الدّرس الصّوتيّ عند العرب: وهناك أربع اتّجاهات رئيسة وهي:

أوّلا: الاتّجاه اللّغويّ: رائده الخليل ابن أحمد الفراهدي في معجمه العين وما بثّ فيه من معلومات صوتيّة رائدة بالنسبة إلى عصره غير أنّنا لا نستطيع حصر جهود الخليل وتأثيره في من تلاه من اللّغويين.

– أمّا سيبويه فقد صبّ معلوماته الصّوتيّة المركّزة في باب الإدغام وعلى الرّغم من إيجاز الباب، فإنّه عالج جوانب صوتيّة مهمّة كانت الأساس لمن تلاه بعده كالتّرتيب المخرجي للأصوات وصفات الحروف من: جهر، وهمس، وشدّة، ورخاوة.

– تابع سيبويه المبرّد في المقتضب في باب الإدغام، وابن دريد في معجمه جمهرة اللّغة الّذي نقل فيه الكثير من آراء الخليل، وكذا ابن جنّي في كتابه (سر صناعة الإعراب).

ثانيا: الاتّجاه التّجويدي: استثمر علماء التّجويد جهود علماء النّحو والصّرف في القراءات القرآنيّة الّذي نشأ في القرن الرّابع للهجرة، وهو أسبق من علم القراءات القرآنيّة الّذي هو علم سماعيّ مبنيّ على قراءات منقولة مشافهة من لدن النّبيّ، وهي وجوه سماعيّة لا علاقة لها بالقياس، يشترط فيها اتّصال السّند

وموافقة رسم المصحف ورواد العربيّة، بدأ هذا الاتّجاه مع موسى الخاقاني صاحب أوّل منظومة في علم التّجويد وابن مجاهد صاحب السبعة في القراءات الّذي يعود إليه الفضل في إرساء قواعد هذا العلم.

وتبقى غاية علم التّجويد تطبيق المعلومات الصّوتيّة والنّحويّة وتدريب الطّلبة على أداء قراءة القرآن بشكل صحيح، فعلم التّجويد علم تطبيقيّ هدفه تعليميّ بامتياز، ويبرز كتاب الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي، وهو كتاب نادر في بابه عُرف بآداب قراءة القرآن، ثمّ تحدّث عن صفات الحروف العربيّة، وبعض التّطبيقات الصّوتيّة، كالإدغام، وأحكام النون السّاكنة والتّنوين.

ثالثا: الاتّجاه البلاغي: رواد المفسّرون والبلاغيون الّذين اعتنوا بقضية إعجاز القرآن كالخطابيّ، والرّمانيّ، والجرجاني صاحب دلال الإعجاز، وابن الأثير، وابن سنان الخفاجي في سرّ الفصاحة وبهاء الدّين السّبكي، وأبي هلال العسكري في كتابه (الصّناعتين) وقد تناول هؤلاء قضية انسجام الحروف عند تأليف الكلمة العربيّة، وفصاحة الحروف، والايقاع الموسيقي الّذي تتركه في الكلمة، وإنّ هذه المباحث والجهود تبقى قليلة أمام جهد اللّغويين وعلماء التّجويد.

رابعا: الاتّجاه العلميّ: كان الاتّجاه العلميّ ولا يزال محدود الأثر في الدّراسات الصّوتيّة العربيّة، وأثره مستجلب متأثّر بالتّرجمة من علوم الأمم الأخرى كالطّب والتّشريح، وتبدو رسالة ابن سينا في أسباب حدوث الحروف يتيمة ونادرة في بابها، فهي لم تتأثّر بجهود عربيّة سبقتها، ولم تأثّر في ما بعدها، وتبقى جهدا يستحق التّنويه والإشادة من هذا العقل المسلم الّذي بنى حضارة استوعبت ما سبقها.

المحاضرة 03: التّعريف بالصّوت اللّغويّ (الحدود والمفاهيم).

تمهيد: عند تتبع تلك الألفاظ الّتي أراد العلماء منها إيضاح ما يطرأ من أثر الحروف بعضها ببعض على وفق روط خاصّة، فإنّنا نصل إل نتيجة مفادها أنّ الخلاف في تلك الألفاظ، لفظيٌّ لا يؤثّر في أصل الموضوع، فهم عل وعيّ، حقيقيّ يتأثّر صوت ما في آخر لعلّة ما، فنظروا في عمليّة التّداخل أو المزج أو الاختلاط، أو الاشتراك، أو التّأثير فكانت لهم هذه المفاهيم.

كان سيبويه أوّل من بادر إلى الكشف والتّنبيه على ظاهرة تأثّر الأصوات بعضها ببعض، ولم يقف كغيره من علماء اللّغة اللّاحقين به عند حدّ معين على تسميّة مقيّدة لهذه الظّاهرة، وتعتبر ظاهرة المضارعة إحدى تلك الظواهر اللّغويّة، وقد تنبّه أيضا إل توّلد حرف ثالث يكون مشابها للحرفين الأوّل والثّاني في بعض صفاتهما أحيانا، وأوضح ما تُحدثه بعض الحروف في بعضها، وأطلق على هذه الظّواهر جملة من التّسميات كـ: المضارعة، التّقريب، الابدال، واستخدام سيبويه مصطلح الموضع بدلا من مصطلح المخرج.

ونجد ابن جنّي في باب الادغام الأصغر استعمل هو الآخر القرب والاشمام، وذكر مكي ابن أبي طالب (ت437هـ) مجموعة من المفاهيم منها: الشّائبة، المخالطة، الميل، القرب، والمسارعة، ولابن يعيش (ت643هـ) كذلك بعض المفردات الّتي تدلّ على المفهوم نفسه منها: الخروج، القرب، الاشراب، الابدال، التّجانس، المشاكلة، الموافقة. وذكر ابن الحاجب (ت686هـ) هو الآخر بعض هذه المصطلحات منها: الخروج، القرب، التّوافق، التّجانس، الاشراب، المضارعة.

1. أنواع الصّوتيات: الصّوتيات (Phonétique) علم يدرس الأصوات البشريّة بمعزل عن الوظائف اللّغوية الّتي تؤديها هذه الأصوات، وإذا تأمّلنا الدّائرة الكلاميّة، فإنّنا نلاحظ أنّ الصّوت ينتقل من المتكلّم الّذي يستعمل جهاز النّطق لإنتاجه نحو المستمع عبر الهواء، فعندما يكون التّركيز على النّاطق، فإنّ الصّوتيات تكون: **صوتيات فزيولوجيّة**، وعندما تخصّ الدّراسة الموجات الصّوتيّة فإنّ ميدان الدّراسة يسمى **الصّوتيات الفيزيائيّة**، وعندما يخصّ البحث ما يتلقاه السّامع فإنّنا نكون في ميدان **الصّوتيات السّمعيّة.**

ملاحظة: لم يحظى الميدان الأخير على أهميّته بالعناية الكافيّة من طرف الباحثين الّذين فضّلوا الاعتناء بالصّوتيات الفيزيولوجيّة، فوصفوا جهاز النّطق وصفا دقيقا، ودرسوا طريقة إحداث الأصوات دراسات واسعة، وذلك بالنسبة لكلّ لغات العالم.

2. الحرف والصّوت: الحرف في **اللّغة** هو الطّرف والجانب فيُقال: حرفا الرّأس: شَقاه، وحرف السّفينة أو الجبل جانبيهما، وفي **الاصطلاح:** هو كل واحد من الحروف المباني التسعة والعشرين الّتي يتركّب منها الكلام، وتسمى حروف الهجاء، بحيث أطلق العرب الأوائل مصطلح (الحرف) عل كلّ حرف من حروف

المباني، واستطاعوا أن يقوموا بدراسات مستفيضة لهذه الحروف، وباعتبارات عديدة، والملاحظ أنّ دراستهم كانت تأتي متخلّلة لمباحثهم النّحويّة والصّرفيّة، ومما نلاحظ في الدّرس اللّغويّ القديم تعدّد المصطلحات والتّسميات الّتي أطلقت على مصطلح (الحرف) مثل: الحروف العربيّة، الرّسم العربيّ، الخط العربيّ...) وغيرها من التّسميات. ممّا دفع بعض الدّارسين المتأخرين إلى الظّن بأنّ الأوائل لم يميّزوا بين الحرف والصّوت.

2. 1- مفهوم الحرف (Le consonne): وهو الصّوت الّذي يحدث عندما يقوم في جهاز الصّوت حاجز يعترض النّفس، ثمّ يجتاز النّفس ذلك الحاجز وهي أنواع: حروف أصليّة، حروف انحرافيّة، حروف مجهورة، حروف زائدة، حروف الذّلاقة، المصوّت، الطّرفيّ، الظّهري، العلّة، حروف التّكرير، حروف لثويّة...إلخ. يتبيّن لنا أنّ هناك تداخل بين بين مصطلح (الحرف) ومصطلح (الصّوت) عند بعض الدّارسين القدامى وحتّى المحدثين.

يبقى الحرف وحدة كتابيّة لا توجد لها حياة مستقلّة، وهو عنصر يدخل في تركيب الوحدة الحيّة المستعملة، وهي الكلمة، وباختلاف تركيب الحروف تختلف الكلمات، وتتعدّد الدّلالات، وعل الرّغم من أنّ: **كل حرف لفظ، وكلّ لفظ صوت**، إلّا أنّ الصّوت باعتباره عمليّة حركيّة ذات أثر سمعي هو من أداء المتكلم في نشاطه اللّغويّ العاديّ اليوميّ، وقد يُطلق على الكلمة، أو على المقطع، أو على الحرف الكامل وحدة نطقيّة (فونيم) تعود إلى جهاز التّصويت الّذي يُنتج عددا لا متناهيا من الأصوات لمجموعة محدودة من الحروف الّتي تُعرف بـ: الأصوات الإنسانيّة، أو الأصوات اللّغويّة والّتي تؤلّف مادته علم الصّوت، فإنّه الأثر السّمعي الّذي يصدر طواعيّة عن تلك الأعضاء الّتي يُطلق عليها جهاز النّطق.

2. 2- مفهوم الصّوت: وهو الأثر الواقع على الأذن من بعض حركات ذبذبيّة للهواء، والذّبذبات في اللّغة يُحدثها الجهاز الصّوتيّ للمتكلّم، ويمكننا تعريف الصّوت أيضا بأنّه: "الأثر السّمعي المتولّد عن اهتزاز جسم ما مصوّت، نتيجة لطرقه أو احتكاكه بجسم آخر." أو نعرّفه بأنّه: "اضطراب تضاغطيّ ينتقل خلال وسط ما ويسبب حركة لطبلة الأذن تؤدي بالتّالي إل الاحساس بالسّمع." ونستنتج من هذه التّعاريف أنّ الصّوت ظاهرة طبيعيّة تحدث نتيجة التقاء جسمين ببعضهما، فتصدر عنهما اهتزازات أو ذبذبات تنتقل خلال وسط ناقل في شكل موجات صوتيّة متتاليّة تصل إل الجهاز السّمعيّ.

3. الصّوت اللّغويّ: يعرّفه ابن جنّي بأنّه ما يخرج من النّفس الّذي يتنفّسه الإنسان ويشترك في إخراج هذا الصّوت كلّ من: الحلق، الفم، الشّفتين، وتختلف الحروف بحسب اختلاف المحلّ الّذي تعتمد عليه في النّطق، للصّوت اللّغوي عدّة جوانب منها: الجانب العضويّ الفيسيولوجيّ (Physiological) والجانب الأوكوستيكي (Acoustic) أو الفيزيائيّ (Physical).

يبقى الصّوت اللّغوي بهذا المعنى هو موضوع علم الأصوات، ونحن كي نعرف الأصوات اللّغويّة وخصاصها ومميّزاتها، ولكي نظفي بمعرفة جيّدة لعلم الأصوات سيلزمنا أن نعرض ولو بشيء من الإيجاز لتلك الأعضاء المسمّاة أعضاء النّطق.

4. الصّوت اللّغويّ وعمليّة الاتّصال اللّغويّ: يحدث الصّوت الإنساني (اللّغويّ) وكما أشرنا سالفا كأي صوت آخر من اهتزاز مصدره، ثمّ تنتقل هذه الاهتزازات (الموجات الصّوتيّة) عبر وسط غالبا ما يكون عبر الهواء حتّى تصل بعد ذلك إلى أذن السّامع، ثمّ تتولّى مراكز معيّنة في المخ ترجمة هذه الأصوات المسموعة إلى معانٍ ومدركات، وهذه الموجات الصّوتيّة هي المادة الخام الّتي تتشكّل منها الكلمات في اللّغة الإنسانيّة الّتي تقوم بدور الاتّصال بين بني البشر، وكأي جهاز اتّصالي آخر، فإنّه لابدّ في اللّغة من توفّر عناصر معيّنة حتّى تؤدي وظيفتها هذه، ومن ثمّ يؤدي النّقص أو الخلل في أيّ من هذه العناصر إلى التّشويش أو الإعاقة، وبالتّالي عدم وفاء اللّغة بالدّور الاتّصاليّ المطلوب، ويمكننا أن نتصوّر دور الصّوت اللّغويّ في هذه العمليّة الاتّصاليّة الّتي تقوم بها اللّغة على النّحو الّذي يصوّره الشّكل الآتي:

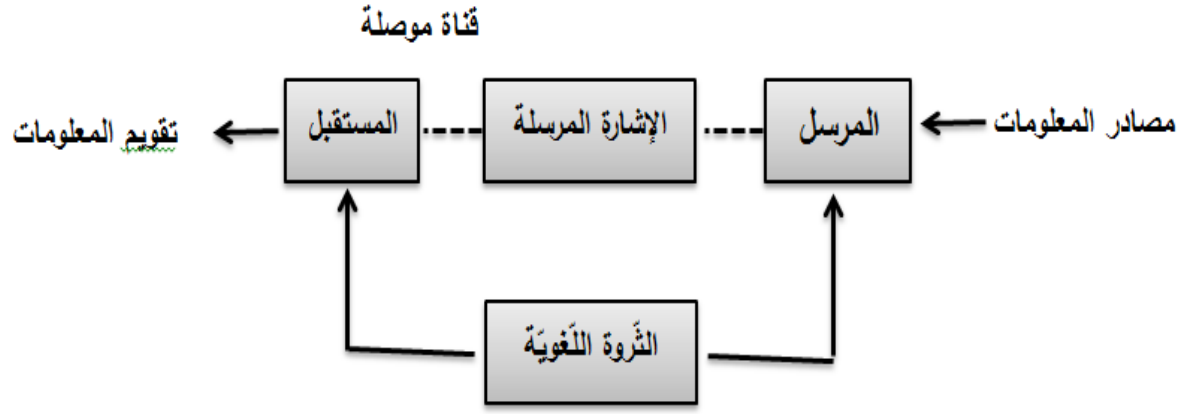

يمثّل هذا النّموذج البسيط العناصر اللّازمة لتحقيق عمليّة الاتّصال الّتي تكوّن في ما بينها دائرة مغلقة عناصرها الرّئيسيّة هي:

1. المرسل (المتكلّم).
2. الإشارة المرسلة (الأصوات).
3. المستقبل (السّامع).
4. القناة الموصلة: وهي هنا الهواء الّذي ينتقل عبره الصّوت.
5. الثّروة اللّغويّة: وهي مشتركة بين المرسل والمستقبل للإشارة.

6. عمليّة الاتّصال: وهي البواعث أو الأفكار الخاصّة بالمتكلّم (مصدر المعلومات)؛ أي عمليتا الاختبار الذّهنيّ والتّقويم الذّهنيّ.

5. مفهوم علم الأصوات: وله عدّة تعاريف فيعرّفه معجم لاروس الفرنسيّ بأنّ علم الأصوات: "العلم الّذي يدرس أصوات اللّغة في تحقّقها المادي الملموس درسا مستقلا عن وظيفتها اللّغويّة، وذلك خلافا للدّراسة الصّوتيّة الفونولوجيّة." ويرى العالم اللّغويّ أبر كرومبيي (Abercomlie) أنّ علم الأصوات يتناول دراسة وسط (Medium) اللّغة المنطوقة بجميع أوجهها، وتنوعاتها، ويقصد بهذا الوسط، الوسط المستعمل في النّطق والتّكلّم في جميع اللّغات الإنسانيّة، سواء كانت بدائيّة أو متحضّرة، وكما هو مستعمل في جميع أساليب الكلام الحسنة منها والسّيئة، العاديّة وغير العاديّة، وهو يؤلف مع علم اللّغة (Linguistics) العلوم اللّغويّة.

6. الخصائص الأصواتيّة للأصوات اللّغويّة: نقدّم هنا الخصائص اللّغويّة للغة العربيّة، وبذلك تنقسم الأصوات اللّغويّة إلى قسمين رئيسيّين هما:

- **الأوّل:** الصوامت (Consonants): مثل: ب، ت، ث، ج...إلخ؛
- **الثّاني:** الصّوائت (Vowels): مثل: الفتحة، الكسرة، الضّمة، الألف...إلخ.

يبقى الفرق بين الصّوامت والصّوائت هو أنّ الأولى يصاحبها تقارب بين عضوي نطق ممّا يؤدي إلى وقف تام للهواء الخارج من الرّئتين أو اضطراب فيه، أمّا الثّانية (الصوائت) فإنّ درجة اقتراب عضوي النّطق من بعضهما أقلّ من ذلك الحاصل في نطق الصّوامت، وحتّى يكون هناك حروف تمكّن اللّغويين – بغض النّظر عن لغاتهم– من التّعرّف على الأصوات اللّغويّة، فقد وضعت المنظّمة العالميّة للصّوتيات (International Phonetic Association) رموزا لجميع الأصوات في اللّغات البشريّة كافة وتسمى (الأبجديّة الأصوتيّة العالميّة) والمعروفة اختصارا بـ: (IPA).

المحاضرة رقم 04: مواضع نطق الحروف العربيّة وحدودها

تمهيد: إن إنتاج الكلام هو عملية عرضية لجهاز التّنفس، ففي غالب الأحوال يدخل الهواء ويخرج في صمت ولا تحدث الأصوات إلاّ إذا كانت هناك حواجز وضغط وتحكم في الحركات الّتي تنشئ أو تزيل الحواجز المسبّبة في تنوّع الأصوات، وهذه الحركات حيّزّها في الحلق، والحنجرة، وداخل الفم. وتصنّف الأصوات بناء على ثلاث متغيرات:

1. نشاط الحنجرة التي تحتوي على الأوتار الصّوتية؛ ممّا يجعلنا نحكم على كلّ صوت بأنّه مجهور أو مهموس.

2. المكان الّذي يكون فيه أقصى الضّغط، وهو واقع في الفم، أو الحلق، أو الحنجرة، ويسمّى نقطة النّطق، أو مخرج الصّوت.

3. كيفية إنتاج الصّوت في الفم أو الحنجرة، وتسمى طريقة النّطق.

ويمثل الشّكل الآتي كيفيّة حدوث هذه المتغيّرات الثلاثة:

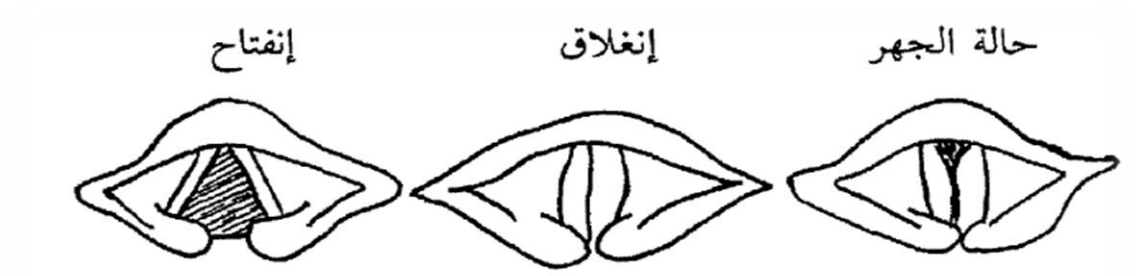

أوضاع الأوتار الصوتية

1. جهاز النّطق عند العرب: عرف العرب معظم أعضاء النّطق وقد قسّموها كما يلي:

1.1- الرِّئتان.

1. 2- قصبة الرِّئة (Trachée artére).

1. 3- طبق رأس القصبة (Epiglotte) ووظيفته غلق القصبة عند ابتلاع الطّعام.

1. 4- الحنجرة (Larynx).

1. 5- الحلق: وقد قسموه إلى ثلاث جهات: أقصى الحلق، وسطه، أدناه الذي يقابله المصطلح الفرنسي (Pharynx).

1. 6- اللّهاة (Luette).

1. 7- الأنف، أو داخل الأنف، أو المنخر (Cavité nasale).

1. 8- داخل الفم (Cavité buccale).

1. 9- الحنك (Palais) ويقسم إلى أدنى وأعلى.

1. 10- النّطع وهو الحنك الأدنى.

1. 11- اللّسان: وفيه: العكدة، أقصى اللّسان، وسطه، ظهره، حافّته، طرفه.

1. 12- عكدة اللسان أو عكرته، أي: أصله.

1. 13- الأسلة: وهي طرف اللّسان إذا كان في وضع صلب (عند النّطق بالحروف الصّفيرية مثلا).

1. 14- الذّولق: وهو طرف اللّسان إذا كان في وضع ليّن (عند النّطق باللاّم مثلا).

1. 15- الأسنان: وتنقسم إلى ثنايا، ورباعيات، وأنياب، وضواحك، وأضراس.

1. 16- اللّثة (Gencive). أما الأوتار الصّوتية، فإنّها مصطلح جديد لم يذكره العرب، وكذلك مصطلحي: غشاء الحنك (Voile du palais)، والغشاء الرّخو (Palais mou)، وهذه المصطلحات تكفي لما نحتاجه بغية وصف الحروف وصفا نطقيا حديثا. والشّكل الآتي يمثل **جهاز النّطق عند الإنسان:**

مكونات جهاز النّطق

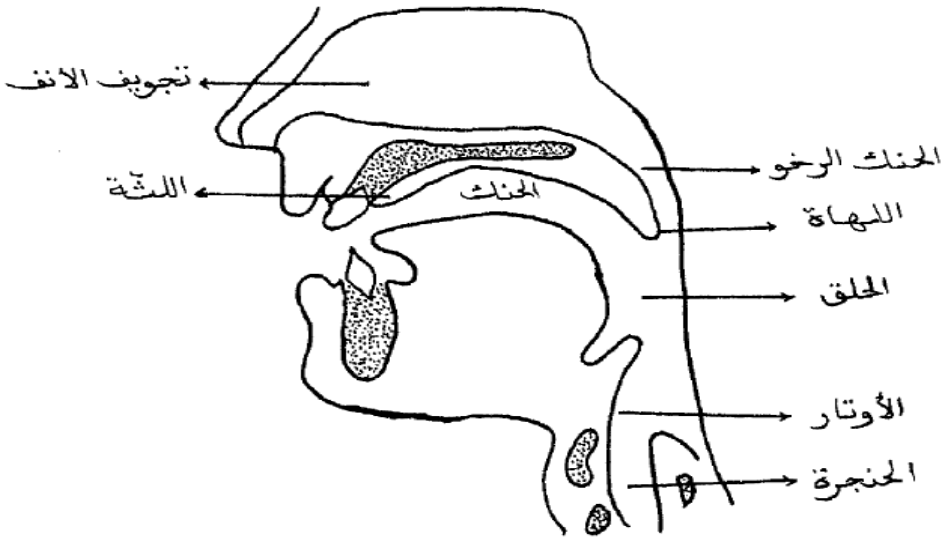

2. **مخارج الحروف العربية:** أحصى القدماء ستّة عشر مخرجا للحروف العربيّة وهي عل التّرتيب

2. 1- أقصى الحلق: وهو مخرج الهمزة، والهاء، والألف.

2. 2- وسط الحلق: وهو مخرج العين والحاء.

2. 3- أدنى الحلق: وهو مخرج الغين والخاء.

2. 4- أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وهو مخرج القاف.

2. 5- أسفل بقليل من مخرج القاف بين اللّسان والحنك الأعلى، وهو مخرج الكاف.

2. 6- وسط اللّسان ووسط الحنك الأعلى، وهو مخرج الجيم والشّين والياء.

2. 7- أوّل حافة اللّسان والأضراس، وهو مخرج الضّاد.

2. 8- من أوّل حافة اللّسان مع ما يليها من الحنك الأعلى إلى آخرها، فويق الضّاحك والنّاب والرّباعية والثّنية، وهو مخرج اللاّم.

2. 9- طرف اللّسان والثّنايا، وهو مخرج النّون.

2. 10- أدخل إلى ظهر اللّسان بقليل من المخرج السّابق وقريب من مخرج اللاّم، وهو مخرج الرّاء.

2. 11- طرف اللّسان وأصول الثّنايا، وهو مخرج الطّاء والدّال والتّاء.

2. 12- طرف اللّسان وأعلى باطن الثّنايا، وهو مخرج السّين، والصّاد، والزّاي.

2. 13- طرف اللّسان وأطراف الثّنايا، وهو مخرج الثّاء، والذّال، والظّاء.

2. 14- باطن الشّفة السّفلى والثّنايا، وهو مخرج الفاء.

2. 15- الشّفتان، وهو مخرج الباء، والميم، والواو.

2. 16- الخيشوم، وهو مخرج النون الخفيفة.

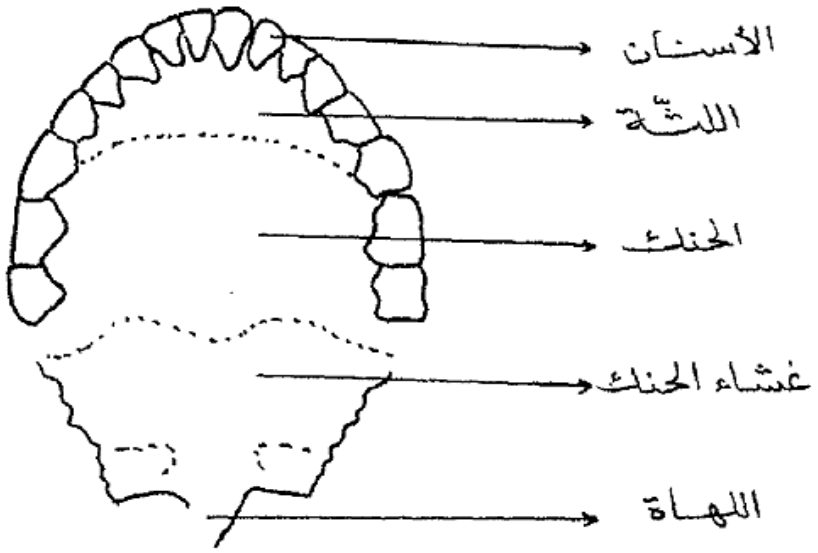

وتسمى الحروف التي مخرجها من الحلق حروفا حلقية (ء، هـ، ا، ع، ح، غ، خ) والحروف الّتي مخرجها من اللّهاة تسمى لهوية (ق، ك)، وحروف وسط الحنك تسمّى شِجْرية (ش، ج، ي)، وتسمى الحروف (ز، س، ص) حروفا أسلية، والحروف (ل، ن، ر) حروفا ذولقية. وهذه المخارج موصوفة بدقة في (كتاب) سيبويه، وهي لا تختلف كثيرا عن المخارج الّتي حدّدها الصوتيون في عصرنا.

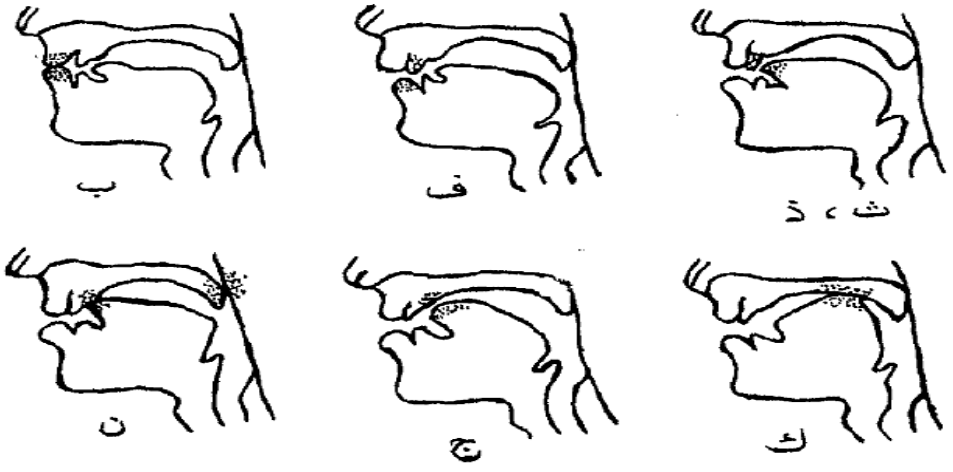

مخارج بعض الحروف

3. صفات الحروف: حدّد اللّغويون العرب تسع عشرة صفة للحروف، ومنهم من ذكر أكثر من ذلك. وقسموها إلى صفات ذات مقابل مثل: الجهر الذي يقابله الهمس، والشّدة التي تقابلها الرخاوة، وإلى صفات لا مقابل ها:

3. 1- الشّدة والرّخاوة: قسّم العرب حروف لغتهم إلى شديدة ورخوة. فالشديدة هي: ء، ق، ك، ج، ت، ط، د، ب، والرّخوة هي: هـ، ع، ح، ع، خ، ش، س، ص، ض، ز، ظ، ث، ذ، ف. وهناك حروف لا هي شديدة ولا رخوة، قيل أنّها بين الشدة والرخاوة، وهي: ل، ن، م، ر، و، ي؛ ا. وهذا التّقسيم يوافق تماما التقسيم الحديث، فالشديدة في المصطلح الغربي (Les occlusives أو الانحباسية، والرخوة هي: (Les fricatives أو الاحتكاكية. أما الّتي هي بين الشّدة والرّخاوة فهي: (Les sonante) أو الجرسية.

3. 2- الجهر والهمس: قسّم اللّغويون القدامى الحروف إلى مجهورة ومهموسة، فالمجهورة هي: ء، ا، ع، غ، ق، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، ز، د، ظ، ذ، ب، م، ، و والمهموسة هي: هـ، ح، خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف. والجهر والهمس يوافق تماما مفهومي: (Sourd، Sonore)، والتصنيف القديم متّفق عليه إلاّ في ما يخصح بعض الحروف.

3.3- الإطباق والانفتاح: الإطباق نطق ثانوي يضاف إلى النطق الأساس للحروف، شأنه في ذلك شأن تدوير الشّفتين بالنّسبة لبعض المصوّتات. ويكون الإطباق بتقريب مؤخّر اللّسان من الحنك الأعلى.

ويقول في ذلك سيبويه: "فأما المطبقة فالصّاد والضّاد والطّاء والظّاء، والمنفتحة كلّ ما سوى ذلك من الحروف. وهذه الحروف الأربعة، إذا وضعت لسانك في مواضعهنّ انطبق لسانك من مواضعهنّ إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللّسان، ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور في ما بين اللّسان والحنك إلى موضع الحروف ... ولولا الإطباق لصارت الطّاء دالا، والصّاد سينا، والظّاء ذالا، ولخرجت الضّاد من الكلام، لأنّه ليس شيء من موضعها غيرها" اه.

3. 4- الاستعلاء والانخفاض: الاستعلاء هو ارتفاع اللّسان إلى الحنك مع الإطباق أو دونه، ويقابل الاستعلاء الانخفاض، والحروف المستعلية هي: الحروف المطبقة + القاف، الخاء، الغين. وهذه الآن صفات لبعض الحروف، صفات دون مقابل:

3. 5- حروف القلقلة: وهي خمسة حروف تجمع بين الشّدة والجهر: الباء، الدّال، الطّاء، الجيم، القاف.

3. 6- حروف الصفير: وهي: السّين، الزّاي، الطّاء.

3. 7- المكرّر: وهو حرف الرّاء.

4. الكتابة الصوتية: يرمز للأصوات اللّغويّة بواسطة حروف أو رموز خاصّة، وهناك أنظمة مختلفة للتّرميز أشهرها (نظام الجمعية الصوتية العالمية). وتدوّن الكتابة الصّوتية كال الفروق الّتي يلاحظها الباحث أو الّتي يريد أن يؤكد عليها، ويوضع النّص الصّوتي بين قوسين معقوفين مثاله: [kataba]، أما الكتابة الفونولوجية فإنّها لا تدوّن إلاّ العناصر التي لها وظيفة لغوية، ويستعمل فيها خطان مائلان مثل: /kataba/، ومن اللّازم أن نشير هنا إلى الكتابة التي يستعملها الصّوتيّون العرب، إنّهم ينفرون من الحرف اللّاتيني ويستعملون الحرف العربيّ، ولكنّهم يواجهون صعوبات متعددة ينتج عنها لبس كبير إذ:

1. لم يتفق اللّسانيون العرب على مجموعة من الرّموز تقابل الرّموز الصوتية العالمية، ففي الميدان الصّوتي عدد الوحدات يفوق بكثير عدد الحروف لأنّ الصوتيات تحاول تدوين كلّ التّأديات وذلك في جميع اللّغات.

2. الحركات الّتي هي فونيمات مثل الحروف عوملت معاملة خاصّة من طرف النّحويين القدامى حتى أن البعض صار يعتقد أنّها جزء مكمّل للحروف، وأنّها لا ترقى إلى مرتبة الوحدة الصّوتية، ومما زاد في هذا الاعتقاد كتابة لغتنا التي إن لم تهملها الإهمال الكامل اعتبرتها كشيء إضافي لا يدوّن إلاّ عند الضرورة.

3. حروف المدّ لها في النّظام الكتابيّ العربيّ وضع شبيه بباقي الحروف مع أنّها ذات طابع خاصّ إذ أنّها في أحسن الأحوال عناصر من ميدان النّغم، فهي رموز إملائيّة تشير إل إطالة الحركات، وليست وحدات صوتيّة كباقي الوحدات، وعليه فإنّ استعمال الحروف العربيّة في الميدان الصّوتيّ يواجه صعوبات

موضوعيّة، تجعلنا نفضّل الأبجديّة العالميّة الّتي وُضعت كبديل للإملاء المحليّ، وذلك بالنسبة لكلّ اللّغات، ولكن العادات تفرض علينا استعمال الحروف العربيّة في دراستنا عندما لا يكون لبس.

5. وظيفة الأبجديّة الصّوتيّة: تدوّن الأبجديّة الصّوتيّة أصواتا عل المستوى الصّوتيّ، وفونيمات أو عناصر نغم على المستوى الفونولوجي، **وهي تكتفي بهذا ولا تتعداه.** أمّا الكتابة العاديّة، ومهما قرب نظامها من النّظام الصّوتيّ، فهي تؤدي وظائف أخرى.

6. الكتابة الصّوتيّة العالميّة (A P I): وهي عل التّرتيب:

ء = [ʔ] مثاله: أَمَر = [ʔamar]

ب = [b] مثاله: بَيْت = [bayt]

ت = [t] مثاله: تَمْر = [tamr]

ث = [t̲] مثاله: ثَعْلَب = [t̲aʿlab]

ج = [g] مثاله:جَبَل = [gabal]

ح = [h] مثاله: حَمَل = [hamal]

خ = [h] مثاله: خَرَج = [harag]

د = [d] مثاله: دَلْو = [dalw]

ذ = [d̲] مثاله: ذِئْب [d̲iʔb]

ر = [r] مثاله: رَحْمَة [rahma]

ز = [z] مثاله: زُمُرُّد [zumurrud]

س = [s] مثاله: سَلاَم [salãm]

ش = [š] مثاله: شَمْس [šams]

ص = [s] مثاله: صَبْر [sabr]

ض = [d] مثاله: ضُحَى [doha]

ط = [t] مثاله: طَاوِلَة [tawilah]

ظ = [d̲] مثاله: ظَرْفٌ [d̲arfun]

ع = [ʿ] مثاله: عِلْمٌ [ʿilmun]

غ = [g] مثاله: غَرِيب [garib]

ف = [f] مثاله: فَوق [fawqa]

ق = [q] مثاله: قَلِيل [qalil]

ك = [k] مثاله: كِتَاب [kitãb]

ل = [l] مثاله: لِقَاء [liqãʔ]

م = [m] مثاله: مَسَاء [masãʔ]

ن = [n] مثاله: نُور [nür]

هـ = [h] مثاله:هَرَم [haram]

و = [w] مثاله: وَلَد [walad]

ي = [y] مثاله:يَوْم [yawm]

المحاضرة رقم 05: مقاطع الكلمة في اللّغة العربيّة.

إنّ إصدار جملة من الجمل، أو لفظا من الألفاظ هو عبارة عن إصدار سلسلة متتابعة من الأصوات يتطلّب النّطق بها القيام بطائفة من عمليات الانفتاح والانغلاق في جهاز التّصويت (سواء كان الغلق كاملا أو جزئيا) هي الّتي تمثّل المقطع، ويبتدئ المقطع بصوت واحد أو عدّة أصوات فاتحة أو متفجّرة ذات انفتاح متزايد، ويمّر بمقدار أعلى من الانفتاح تمثّله عادة حركة من الحركات، وينتهي بصوت أو عدّة أصوات مغلقة، أو حاجزة للهواء ذات انفتاح متناقض.

1. مفهوم المقطع: كلمة (المقطع) لغة: من المقطع، وهو إبانة بعض أجزاء الشّيء من بعض، ويُقال: قَطَعَهُ، يَقطَعُهُ، قَطعا، وقَطَعهُ، واقتطعه، فانقطع، وتقطّع بتشديد الطاء للكثرة. واسم المكان مقطع على وزن مَفْعَل من قَطَعَ ومقطع كمقاطع الرّمال والأوديّة، والمقطع: الموضع الّذي يقطع فيه النّهر من المعابر،

– مقاطع القرآن: مواضع الوقوف، ومبادئه أي: مواضع الابتداء؛

– ومُقطّعات الشّيء: طرائقه الّتي يتحلّل إليها ويتركّب عنها، كمقطّعات الكلام، ومقطّعات الشّعر ومقاطيعه: ما تحلّل إليه، وتركّب عنه من أجزائه الّتي يسميها عرضيوا العرب الأسباب والأوتاد.

– المقطع في الاصطلاح: والمقطع في اصطلاح الأصواتيين العرب أقرب إلى قولهم: مقطّعات الكلام أي: أجزاؤه الّتي يتحلّل إليها ويتركّب عنها ويقول محمد ابن علي ابن الدّهان (ت 592) في ذلك: "وبين الألفاظ والحروف المقاطع، والمقاطع تنقسم إلى خفيفة وثقيلة، فالخفيف مركّب من صامت ومصوّت، والثّقيل من صامتين ومصوّت؛ لأنّ المصوّت إما أن يُنطق به في أقصر زمان يكون فيه اتّصال الصّامت إلى الصّامت وإلى السّمع، وهو المقطع المقصور، والسبب الخفيف العروضيُّ مثل: لَنْ، وإما أن يُنطق به في ضعف الزّمان أو أضعافه، ويُسمى مقطعا ممدودا، والوتد المفروق العروضيّ مثل: قَاعٌ." ولم يعن اللّغويون العرب وعلماء التّجويد بالمقطع الصّوتيّ على الرّغم من معرفة بعضهم به مثل ابن الدّهان.

1. 1– مفهوم المقطع عند علماء الأصوات: أحسّ الأصواتيون بأنّ الأصوات في السّلسلة الكلاميّة تتابع على شكل مجموعات متتاليّة يمكن تمييز أصوات كلّ مجموعة من الأخرى، ولا تتطابق هذه المجموعات الصّوتيّة غالبا مع الكلمات الّتي تؤلّف تلك السّلسلة، فقد تتألّف الكلمة من مجموعة واحدة أو أكثر، وقد تتداخل تلك المجموعات بين كلمتين في الكلام المتّصل، وأطلقوا على مجموعة منها اسم (المقطع).

وجاءت نتائج الدّراسة التّجريبيّة للعمليّة الكلاميّة مؤكّدة لذلك فقد أثبتت أنّ الصّدر لا يواصل ضغطا ثابتا خلال المجموعة النّفسيّة، وأنّ عضلات الصّدر تنتج نبضة منفصلة من الضّغط لكلّ مقطع، وعلى

الرّغم من اتّفاق الدّارسين اليوم عل تلك الحقيقة فإنّهم وجدوا أنّ تعريف المقطع أمر عسير، ومن ثمّ فإنّهم لم يتّفقوا عل تعريف محدّد له، ويرجع جانب من ذلك إلى أنّهم يذهبون في تعريفه مذاهب شتى (صوتيّة فزياويّة، أو مخرجيّة (نطقيّة) أو وظيفيّة)، وإلى أنّ الأجهزة المستخدمة لم تمكنّهم من رسم حدود المقطع بدقّة.

ويقرّر علماء الأصوات أنّ لكل لغة قواعدها الخاصّة بتجميع الوحدات الصّوتيّة في مقاطع والمجموعة الّتي تنطق في لغة ما عل أنّها مقطع واحد قد تنطق في لغة أخرى على أنّها مقطعان ومن ثمّ فإنّ تعريف المقطع سوف يختلف باختلاف اللّغات، وهذا الأمر يجعلنا نتّجه بالحديث عن تعريف المقطع إلى ما يتناسب وطبيعته في اللّغة العربيّة، ويمكن للدّارس أن يعرض ثلاث وجهات نظر في تعريف المقطع كلّ وجهة تنظر إليه من خلال اعتبارات معيّنة تُسهم كلّها في الكشف عن طبيعة المقطع الصّوتيّة ووظيفته اللّغويّة وهي:

1. **2- مفهوم المقطع من النّاحيّة النّطقيّة:** يمكن أن يعرّف المقطع من النّاحيّة النّطقيّة بأنّه مجموعة أصوات تُنتج بنبضة أو خفقة صدريّة واحدة، ويستطيع الدّارس أن يضع كفّه على أسفل صدره وينطق بكلمة مثلا (كتب) نطقا متأنّيا هكذا: (كَ، تَ، بَ)، وسوف يحسّ بضغطات الحجاب الحاجز على الصّدر وهي ثلاث تقابل مقاطع الكلمة الثلاث، وكذلك لو نطق عبارة (لم يكتب) فإنّه يستطيع أن يميّز ثلاث مقاطع أيضا وهي: (لم، يك، تب)، وأن يحسّ بالخفقات أو الضّغطات الصّدريّة الثلاث وهكذا دائما.

1. **3- تعريف المقطع من النّاحيّة الفيزياويّة (أي الفيزيقيّة) أو الأوكوستيكيّة حسب تعبير بعض الدّارسين:** بأنّ المقطع قمّة اسماع تقع بين حدّين بدنيين من الإسماع، وقد لاحظ الأصواتيون المحدثون أنّه في حالة تسجيل الذّبذبات الصّوتيّة لجملة من الجمل فوق لوح حسّاس يظهر أثر هذه الذّبذبات في خطّ متموذج ويتكوّن هذا الخط من قمم وقواعد، وتلك القمم هي أعلى ما يصل إليه الصّوت من الوضوح وتحتلّ الأصوات الذّائبة (المصوّتة) تلك القمم في معظم الأحيان تاركة القواعد للأصوات الجامدة (الصّامتة).

1. **4- تعريف المقطع من النّاحيّة الوظيفيّة:** هو تتابع صوتيّ من الجوامب (الصّوامت) والذّوائب المصوّتات ويتكوّن عادة من حركة تعتبر نواة المقطع يحوطها بعض الجوامد، ولكلّ لغة قواعدها الخاصّة بتجميع الوحدات الصّوتيّة في مقاطع ومن ثمّ فإنّ تعريف المقطع بالاستناد إلى النّاحيّة الوظيفيّة له سوف يختلف باختلاف اللّغات، وحاول عدد من الأصواتيين العرب تعريف المقطع من هذه النّاحيّة فقال عبد الصّبور شاهين: "هو مزيج من صامت وحركة يتّفق مع طريقة اللّغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التّنفسي" وكما نلاحظ بأنّ هذا التّعريف ينحو نحو التّعميم كما أنّه يمزج بين الجانب الوظيفي والجانب النّطقيّ، وعرّف حسام النّعيمي المقطع بأنّه: "هو وحدة صوتيّة تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي

قبل أوّل صامت ترد متبوعا بصائت، أو حيث تنتهي السّلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد." يظهر لنا من التّعريفات السّابقة أنّ كلّ تعريف للمقطع يكشف جانبا من خصائصه تبعا للنّظرة الّتي ينطلق منها، وكلّ تعريف يتكامل ولا يتعارض مع غيره.

ويمكن تقديم تعريف يجمع عناصر التّعريفات السّابقة مع مراعاة طبيعة المقطع في العربيّة وهو: المقطع هو مجموعة أصوات تُنتج بضغطة صدريّة واحدة تبدأ بصوت جامد يتبعه صوت ذائب (قصير أو طويل) وقد يأتي متبوعا بصوت جامد أو اثنين، ويكون الصّوت الذّائب فيه قمّة الاسماع بالنّسبة إلى الأصوات الأخرى الّتي يتألّف منها المقطع.

2. أنواع المقاطع الصّوتيّة في اللّغة العربيّة: يحتاج الباحث إلى تقسيم الكلام المتصّل إلى مقاطع صوتيّة عليها تُبنى في بعض الأحيان الأوزان الشّعريّة، وبها يُعرف نسج الكلمة في لغة من اللّغات والمقاطع الصّوتيّة نوعان متحرّك (Open) وساكن (Closed) والمقطع المتحرّك هو الّذي ينتهي بصوت بين قصير أو طويل. أما المقطع السّاكن فهو الّذي ينتهي بصوت ساكن، فالفعل الماضي الثّلاثي مثل: (فَتَحَ) يتكوّن من ثلاث مقاطع متحرّكة في حين أنّ مصدر هذا الفعل (فَتْحٌ) يتكوّن من مقطعين ساكنين.

يمكن التّمييز إذا بين عدّة أنواع من المقاطع، وأوّل ما يجب تأكيد القول فيه هي المقابلة بين المقاطع المنفتحة والمنغلقة.

– المقطع المنفتح: هو الّذي ينتهي بحركة (طويلة أو قصيرة)؛

– المقطع المنغلق: هو الّذي ينتهي بحرف أو حرفين (وإذا انتهى بحرفين سُمي أحيانا مقطعا مزدوج الانغلاق)؛

– وتنقسم المقاطع من حيث المدى إلى مقاطع قصيرة ومقاطع طويلة؛

– المقطع القصير: هو الّذي ينتهي بحركة قصيرة (فكلّ مقطع قصير يكون منفتحا وجوبا) مثل: كلمة (قَتَلَ) مركّبة من ثلاث مقاطع قصيرة؛

– المقطع الطّويل: هو الّذي ينتهي بحركة طويلة أو بحرف (إذا فكلّ مقطع منغلق يكون طويلا وجوبا) مثل المقطع الثّاني من كلمة (مقتَلْ) وهو (تَلْ)، والمقطع الثّالث في كلمة (قتَلْنَا) وهو (نَا) وهما مقطعان طويلان.

3. مكوّنات مقاطع اللّغة العربيّة: يتكوّن المقطع في اللّغة العربيّة من واحد من الأشكال الآتيّة:

3. 1– صامت + صائت (CV) مثل: كَ / تَ /بَ في كلمة (كتب)؛

3. 2– صامت + صات طويل (CV:) مثل: قَا / مَا في كلمة (قاما)؛

3. 3– صامت + صائت قصير + صامت (CVC) مثل (مَكتب) والمقاطع هي: مَكْ / تَبْ؛

3. 4– صامت + صائت طويل + صامت (CV: C) مثل (سَاد) والمقاطع /س َ . َ د/؛

3. 5 – صامت + صائت مزدوج + صامت (CV CV) مثل (قوم) والمقاطع /قَ َ . ُ م/؛

3. 6– صامت + صائت قصير + صامت + صامت (CVCC) مثل كلمة (عَدَّ) والمقاطع /ع َ . د د/؛

– وقد يضيف بعض اللّغويين مقطع سابع يتكوّن من: صامت + صائت طويل + صامت + صامت (CC:CV) مثل كلمة (ساب) والمقاطع: /سَ َ . َ ب ب/ واللّغة العربيّة لا يوجد بها هذا النّوع من المقاطع بل يندرج تحت نوع المقطع المكوّن من صامت + صائت طويل + صامت ونستطيع باستخدام التّصنيف السّابق تقسيم الكلمة في اللّغة العربيّة إلى مقاطع تجمع كلّها في كلمة (استَكْتَبْتُمُوهُم) والّتي تتكوّن من المقاطع الست الآتيّة: /ء ِ . ِ س/، /ت ُ...ك/، ت َ . ب/، تِ ُ.. /، /م ُ . ُ .../، /هـ . ُ.م/ وتوجد هناك مجموعة من المعايير لتقسيم الكلمة إلى مقاطع في اللّغة العربيّة هي:

– لا بدّ من وجود صائت في المقطع؛

– المقطع يبدأ بصامت واحد؛

– يمكن أن يكون المقطع مفتوحا اي لا ينتهي بصامت أو مغلقا أي ينتهي بصائت أو صائتين.

4. تصنيف المقاطع الصّوتيّة: تنقسم المقاطع الصّوتيّة من حيث طبيعتها النّطقيّة إلى:

– مقاطع مفتوحة مثل النّوع الأوّل والثّاني، تختم بصوت من أصوات الحركة؛

– مقاطع مغلقة مثل النّوع الثّالث والرّابع وهي الّتي تُختم بصوت صامت؛

– مقاطع مزدوجة الإغلاق، وهي الّتي تُختم بصامتين مثل النّوع الخامس والسّادس.

ويمكن تقسيم هذه المقاطع من حيث الكم إلى:

– مقاطع قصيرة يمثّلها النّوع الأوّل فقط؛

– مقاطع متوسّطة يمثّلها النّوع الثّاني والثّالث؛

– مقاطع طويلة ويمثّلها الرّابع والسّادس.

5. المقطع في العربيّة القديمة: يبتدئ المقطع في العربيّة القديمة بحرف واحد مطلقا إذا فإنّ المجموعة ذات الحرفين إذا كانت داخل الكلمة تُقاسم حرفيها مقطعان متتاليين فينبغي تقطيع كلمة (قَطْرَةٌ) مثلا على النّحو الآتي: قَطْ ، رَ، تُن ولذلك أيضا امتنع وجود مجموعات ذات حرفين في أوّل الكلمة: ووجب أن تسبقها حركة اعتماد في وسط الجملة وتربط هذه الحركة، وكذلك الحرف الأوّل من المجموعة

ذات الحرفين بالحرف الآخر من الكلمة السّابقة مثل قولهم: قامت الجارية يُقطع هكذا: قَا، مـ، تِلْ، جا، ر ي، ـةُ وإذا كانت حركة الاعتماد هذه في أوّل الكلام سبقتها همزة قطع فيُقال: (أَلْجارية) لا (الجارية).

ينتهي المقطع في العربيّة القديمة إما بحركة في حالة المقطع المنفتح أو بحرف واحد في حالة المقطع المنغلق، ولذلك انعدمت من العربيّة المقاطع ذات الانغلاق المزدوج، وكذلك المجموعات المركّبة من أكثر من حرفين في داخل الكلمة، وكذلك أيضا المجموعات ذات الحرفين في آخر الكلمة، وإذا ظهرت مجموعات من هذا الصّنف الأخير من جراء الوقف وجب اقحام حركة فصل بين الحرفين.

كما نجد في العربيّة القديمة مقاطع قصيرة ومقاطع طويلة ويجتنب في الغالب وجود حركة طويلة في مقطع منغلق.

المحاضرة رقم 06: الدّرس الصّوتيّ وعلوم اللّغة.

تمهيد: لم يعرف العرب العلوم بكلها الحديث؛ بل غاية ما يُقصد بالعلم عندهم عبارة عن معارف يشوب بعضها عدم الدّقة والكثير من عدم التّنظيم، وعدم وجود منهج محدّد، وبخاصّة في ميدان اللّغة ففي:

1. جمع اللّغة: جمعّ اللّغويون اللّهجات واللّغات دون ضوابط، ثمّ بدأ ذلك الجمع يأخذ شكل الرّسائل المحدّدة الموضوع، فالمعاجم ثم المعاجم المخصّصة مثل: المخصّص الّذي ضمّ أبوابا من مثل خلق الإنسان، فالعرب عرفوا وسموا كلّ دقائق الجسم الإنساني، وقارنوا بينه وبين المخلوقات الأخرى وضبطوها، ومن هنا كان عمل الخليل ابن أحمد الفراهدي ومصطلحاته في مقدّمة العين (الحلق، اللّهاة اللّسان) نابعة من بيئة عربيّة، وبهذا ينتج أنّ العرب طوّروا ما كان عندهم، أمّا الأمم الأخرى فالعلوم عندهم نشأت حديثا.

2. الدّرس الصّوتي وعلوم اللّغة عند العرب: عندما نتحدّث عن علم الأصوات عند العرب يتبادر إلى أذهاننا سؤالا مهمّا وهو: هل كان علم الأصوات عند العرب علما مستقلا بين العلوم اللّغويّة؟

اهتمّ العرب بالقرآن الكريم ولغته خوفا عليه من التّحريف والتّغيير مفتخرين بحفظه وتلاوته وترتيله ممّا جعلهم يهتمون بالأصوات على اساس أنّها القاعدة الأساس الّتي تقوم عليها القراءات القرآنيّة، تنافس فيها العرب، فاشتهر علماء من الصّحابة منهم من برع في القراءات كابن سعود وغيرهم.

وأخذ العرب يهتمون بالأصوات لتجويد القرآن الكريم حتّى عصر الخليل ابن أحمد الفراهدي الّذي عُني كثيرا بدراسة الأصوات حتّى ألّف كتابا في النّغم والأصوات متّتّبعا فيه أوزان الشّعر، وإيقاعه مستخرجا علم العروض، ثمّ معجم العين الّذي رتّبه على مخارج الأصوات فبدأ بأبعد الأصوات مخرجا في الحلق، فقد رسم الخليل الطريقة الّتي يمكن بها معرفة مخرج الصّوت الحقيقي، فكان موفقا في طريقته إلى حدّ أن علم الأصوات الحديث يعترف بكثير من آرائه ومقاييسه الصّحيحة.

تابعه في ترسّم هذا الطّريق تلميذه النجيب سيبويه كونّه تناول الجهاز الصّوتيّ، وحدّد مخارج الأصوات بدقّة متناهيّة، وتحدّث عن صفات الحروف من جهر وهمس وشدّة ورخاوة، فقد تأثّر سيبويه كلّ من جاء بعده من اللّغويين، فأخذوا يردّدون كلامه في الأصوات دون أن يزيدوا عليه ما يستحق الذّكر، ولكن يبقى العمل العظيم الّذي قام به الخليل وتلميذه سيبويه فتح الطّريق أمام أصحاب المعاجم لدراسة الأصوات في مقدّمات معاجمهم.

كان (ابن دريد) في مقدّمة معجمه الجمهرة، ثمّ الأزهري في مقدّمة (التّهذيب) وكانت هذه المقدّمات دافعا قوّيا لاستقلال الدّرس الصّوتيّ، وأصبح بذلك فرعا من فروع علم اللّغة مستقلا: كالنّحو، وأفرد له عنوان واضح، ومادة علميّة تناولها العلماء بالشّرح والتّحليل، وكانت هذه الخطوة الجريئة في القرن الرّابع للهجرة وصاحبها (ابن جنّي) الّذي ألّف كتابا مستقلا في علم الأصوات سماه بـ: (سرّ صناعة الإعراب) وهو في بداية كتابه يلتمس لحدوث الأصوات وسيلة للإيضاح لم يهتد إليها سيبويه من قبل، إذ شبّه ابن جنّي مجرى النّفس في أثناء النّطق بالمزمار، وشبّه مدارج الحروف ومخارجها بفتحات المزمار الّتي توضع عليها الأصابع، فحركة الأصابع تؤدي إلى اختلاف الأصوات، وربط ابن جنّى بين علم الأصوات وعلم الموسيقى لما فيه صفة الأصوات، والنّغم، ومعظم آراء ابن جنّي في الأصوات نالت إعجاب المستشرقين والأوروبيين.

إنّ ابن جنّي قال منذ ألف سنة ما لم يتوصّل إليه علماء الأصوات إلّا في عصرنا هذا، وفي القرن الخامس الهجري ألّف ابن سينا هو الآخر رسالة صغيرة في الأصوات العربيّة وسماها بـ: (أسباب حدوث الحروف) وقسّمها إلى ستة فصول، وبيّن فيها سبب حدوث الصّوت الإنساني، وسبب حدوث الحروف وتشريح الحنجرة واللّسان، وحديثه في هذه الرّسالة أشبه بحديث علماء وظائف الأعضاء؛ ممّا جعل لهذه الرّسالة ولابن سينا تقدير وإعجاب بعض اللّغويين المحدثين. أمّا في القرن السّادس الهجري ألّف الزّمخشري كتابه (المفصّل) في النّحو وخصّص القسم الأخير منه للدّراسة الصّوتيّة، وفي أوائل القرن السّابع الهجري ألّف السّكاكي كتاب (مفتاح العلوم) وعمل فيه رسم بيدائي لأعضاء النّطق. تلك هي الدّراسات الصّوتيّة عند قدامى العرب.

أما الدّراسات الصّوتيّة عند علماء العرب ظهرت بوادرها في الرّبع الأوّل من القرن التّاسع عشر الميلادي، وقد استفاد الغربيون من دراسة العرب الصّوتيّة وأصّلوا عليها علوما كثيرة وفروعا للدّراسات الصّوتيّة مكّنهم منها تطور العصر وظهور الآلات الدّقيقة والدّرس المعمليّ الصّوتيّ الّذي أمكن عن طريقه تحديد الأصوات، وطرائق استخدامها بدقّة في حين كان العلم العربيّ قديما يعتمد على ذوقه المرهف.

المحاضرة رقم 07: صفات الأصوات العربيّة عند القدامى

تمهيد: ميّز الباحثون العرب بين مخرج الصّوت وصفته، فرأوا أنّ ما يميّز الصّوت هو هذه الثّنائيّة المكوّنة من المخرج والصّفة كالهمس والجهر، والرّخاوة، وتسمى هذه الصّفات المميّزة، ولذا وجب توضيح بعض النّقاط، وهي كالآتي:

- مفهوم الصّفة المميّزة مفهوم فنولوجي، وليس صوتيا، وقد يؤدي تطبيقه إل نتائج تختلف تماما عمّا هو مألوف في الصّوتيات، ففي الصّوتيات البحتة يلزمنا ألّا نستعمل النّعت (مميّز)؛
- الصّفات تمكّن من تحديد الصّوت، ولا يُعرف الصّوت إلّا بواسطة هذه المجموعة من الصّفات، ومنه فإنّ المخرج يدخل ضمنها؛
- المعتاد في تحديد صفات الأصوات عند الغربيين هو تحديد المخرج ثمّ صنف الصّوت هل هو شديد أم رخو، أم صائتي، وأخيرا نوعيّته هل هو مهموس، أو مجهور، أو أغن.
- هناك من علماء العربيّة من استعمل عبارة (صفات الحروف) للدّلالة على مجموعة من السّمات الصّوتيّة الّتي يتميّز بها كلّ حرف، ومنهم من لم يستعملها، وإنّما اكتفى بذكرها في معرض حديثه عن الحروف، ومن هؤلاء سيبويه الّذي قال: "هذا باب عدد الحروف ومخارجها ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها." وعبّر ان جنّي هو الآخر عن صفات الحروف بأجناس الحروف. كما ذُكرت الصّفات عند علماء التّجويد والمنشغلين بعلوم القرآن ونجد ذلك في قول الزّرقاني: "وهذا ما نشاهده نحن ونحسّه في تيّسر أو تعسّر بعض صفات الحروف على بعض النّاس في النّطق دون صفات أخرى." وفي قول الزّركشي: "فإنّ الطّاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها." وتبقى صفات الحروف الّتي ذكرها القدامى كثيرة ومتعدّدة ويقصد بها: "الخواص والملامح المميّزة لكل صوت من: همس، جهر، شدّة، أو رخاوة، واستعلاء، أو استفال، واطباق، وانفتاح."

ويعتبر القدماء العرب من علماء الأمّة قد كان لهم بصر وبصيرة بصفات أصوات العربيّة بدقّة ووضوح، وقد اختلف هؤلاء العلماء في تعداد صفات حروف العربيّة، ولكن أكثر العلماء والقراء أجمعوا على أنّها سبعة عشر صفة وهي كالآتي:

1. الجهر: وهو انحباس لمجرى النّفس عند النّطق بالجوف لقوّته، وذلك لقوّة الاعتماد على مخرجه وحروف الجهر تسعة عشر حرفا وهي: ء، أ، ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ط، ع، غ، ق، ل، م، ن، و ي، ظ.

يصف البعض الأصوات المجهورة بأنّها تتميّز بالشّدة أو القوّة في صوتها ويصفها آخرون بأنّها الأصوات الّتي تخرج من الصّدر. ويعتبر مصطلح الجهر من مصطلحات سيبويه وهو الّذي قال في

تعريف المجهور: "حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النّفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد ويجري الصّوت فهذه حالة المجهورة." ولكن المبرّد خرج عن عبارة سيبويه وقال في تعريف الحروف المجهورة: "بأنّها حروف إذا ردّدتها ارتدع فيها الصّوت."

2. **الهمس:** يصفون الأصوات المهموسة بأنّها الأصوات الضّعيفة أو الّتي لا تخرج من الصّدر ولكنّها تخرج من مخارجها في الفم وهي مجتمعة في عبارة (فحثّه شخص سكت) والحروف هي: هـ، ح خ، ك، ش، س، ت، ص، ث، ف. أي الحروف المهموسة هي تلك الّتي ضعفت الاعتماد على مخرجها حتّى جرى النّفس معها. ويبقى معيار الفصل بين الجهر والهمس عند القدماء هو جري النّفس أو عدمه.

3. **الشّدة:** هي أن يُمنع النّفس من أن يُجرى مع الصّوت في الفم وهي: ء، ق، ك، ج، ط، ت، د ب.

4. **الرّخاوة:** وهي أن يُسمح بمرور النفس أثناء نطق الصّوت وهي: هـ، ح، ع، خ، ش، ص، ض ز، س، ظ، ث، ذ، ف. والأصوات الرّخوة عكس الشّديدة، وهي الّتي يجري فيها الصّوت ومثّلوا لها بالمس والرّش، فتمدّ الصّوت جاريا مع السين والشين، وحدّدها القدماء بثلاثة عشر صوتا.

5. **بين الشّدة والرّخاوة:** الصّوت الوحيد الّذي اعتبروه ليس بشديد ولا رخو وهو (ع).

6. **الاطباق والانفتاح:** أما تعريف الاطباق عند القدماء فهو أن ينطبق اللّسان على الحنك عند النّطق بالحرف. والإطباق من صفات القوّة حروفه أربعة هي: ص، ض، ط، ظ وهي حروف أربعة أقوى حروف التّفخيم، وما بقي بعد هذه الحروف الأربعة من حروف الهجاء، فهي حروف الانفتاح.

7. **الانفتاح:** أي تباعد اللّسان والحنك الأعلى عن الآخر حتّى يخرج النّفس من بينهما عند النّطق بالحرف.

8. **القلقلة:** قال الخليل ابن أحمد الفراهدي عليها أنّها شدة الصّوت، وحروف القلقلة عند سيبويه والمحقّقين خمسة تُجمع في عبارة (جدّ قطب)، وسُميّت بذلك لشدة ضغط صوتها عند الوقف؛ لأنّ هذه الحروف مجهورة شديدة، فالجهر يمنع النّفس أن يجري معها، فاحتاجت إلى التّعمل في بيانها، فلذلك يحصل فيها للمتكلّم ما يحصل من ضغط الصّوت حتّى تكاد تقرب من الحركة، ولتوضيح ذلك فإنّ القلقلة هي اضطراب في المخرج عند النّطق، والقلقلة صفة لازمة لهذه الحروف إذا سكنت سواء كانت في وسط الكلمة أو في آخرها.

9. **الاستعلاء والاستفال:** وهو ارتفاع اللّسان بالجوف إل الحنك الأعلى وعددها سبعة هي: ع، خ، ق، ص ط، ض، ظ، ولبعض هذه الحروف صفة الإطباق (س، ط، ص، ظ)، وهذا يعني أنّ الاستعلاء صفة عامّة تشترك فيها سبعة أصوات صامتة، الاستعلاء صفة خاصّة وحروف الاستعلاء تُجمع في عبارة (قظ خص ضغط) وهي حروف التّفخيم على الأصوات وأعلاها الطّاء.

– **الاستفال:** وهي عكس الاستعلاء.

10. **الذّلاقة:** وهي الّتي تخرج من منطقة الذّلاقة أي من طرف اللّسان وهي: "الرّاء واللّام والنون والفاء والباء، الميم وما عداها من حروف كان يسميها مصمتة، فأي كلمة رباعيّة أو خماسيّة لم تحتو حرفا واحدا عل الأقّل من حروف الذّلاقة عدّها الخليل من الدّخيل."

11. **الإصمات:** فهو من الأصوات ما لا جوف له فيكون ثقيلا، وسُميت بالأصوات المصمتة لثقلها على اللّسان لأنّها أصمتت فلم تدخل في الأبنيّة كلّها باعتبارها على اللّسان فقال عنها الخليل: "اعلم أنّ الحروف الذّلق والشّفويّة ستة وهي: ر، ل، ن، ف، ب، م، وانّما سميت أسلة اللّسان والشّفتين."

12. **الصّفير:** وهو صوت زائد يشبه صوت الطّائر، ويكون في ثلاثة أحرف هي: س، ص، ز وتخرج هذه الأحرف من بين الثنايا وطرف اللّسان، فينحصر الصّوت هناك فيأتي الصّفير، وسُميت حروف الصّفير لأنّك تسمع لها عند النّطق بها صوتا يشبه صوت بعض الطّيور، فالصاد مثلا تشبه صوت الإوز والزاي مثلا تشبه صوت النّحل، والسّين تشبه صوت الجراد وأقوى هذه الحروف الثلاثة حرف الصّاد لما فيه من استعلاء وإطباق.

13. **التّفشي:** وهي صفة ذكرها سيبويه في وصف حرف الشّين سُميت كذلك؛ لأنّ الصوت ينتشر به عند خروجه وتشغل اللّسان مساحة أكبر عند نطقه حتى يصل إلى مخرج الطّاء، وأطلق هذه الصّفة عل الظاد والفاء وحروف التّفشي، والحرف المتّفق عليه هو الشّين وقد أضاف بعضهم الفاء والظاء، وبعضهم أضاف الراء، والصّاد والسين والباء والثاء والميم.

14. **الاستطالة:** الحرف المستطيل وهو الضاد لأنّه استطال عن الفهم عند النّطق به حتّى اتّصل بمخرج اللّام، وذلك لما فيه من القوّة بالجهر والإطباق والاستعلاء وهي صفة جوهريّة لحرف عربيّ وهو حرف (الضّاد).

15. **التّكرار:** قال عنه سيبويه –أي الحرف المكرّر– وهو حرف شديد يجري فيه صوت لتكريره وانحرافه إل اللّام فتجافي للصّوت كالرّخوة، ولو لم يكرّر لم يجر الصّوت فيه وهو الراء. وهي صفة اختصّ بها صوت الرّاء، وعندما تنطق بالرّاء تحسّ وكأنّها مضعّفة والوقف يزيد إيضاحها.

16. **الغنّة:** وهي جريان الصّوت من الأنف (ن، م).

17. **الانحراف:** وهو انحراف مخرج الهواء مع جانب اللّسان (ل).

18. **اللّين:** تتسّع مخرج أصوات اللّين أكثر من اتّساع مخارج الأصوات الأخرى كحرفي: (ي، و).

19. **الهاوي:** وهو الصّوت اللّين الّذي يتّسع فيه تجويف الفم، وهو الألف.

نستنتج أنّ القدماء قد قطعوا في درسهم الصّوتي أشواطا كثيرة بدراستهم لجل المحاور الأساسيّة للدّرس الصّوتي رغم افتقارهم للآلات والتّقانات الحديثة.

المحاضرة رقم 08: اتّجاهات الدّرس الصّوتي عند العرب.

أوّلا: الاتّجاه اللّغويّ: رائد هذا الاتّجاه هو الخليل ان أحمد الفراهدي في مقدّمة معجمه العين، وما بثّ فيه من معلومات صوتيّة رائدة بالنّسبة إلى عصره غير أنّنا لا نستطيع حصر جهود الخليل وتأثيره في من تلاه من اللّغويين، وعلى الرّغم من النّقد الكثير الّذي تعرّض له المعجم؛ إلّا أنّ جهد الخليل وفكره واضح وجليّ فيه.

أما سيبويه فقد صبّ معلوماته الصّوتيّة المركّزة في باب الإدغام، وعلى الرّغم من إيجاز الباب فإنّه عالج جوانب صوتيّة مهمّة كانت الأساس لمن تلاه بعده، كالتّرتيب المخرجي للأصوات وصفات الحروف من: جهر، وهمس، وشدّة، ورخاوة تابع سيبويه المبرّد في كتابه (المقتضب) في باب الإدغام، وابن دريد في معجمه (جمهرة اللّغة) الّذي نقل فيه الكثير من آراء الخليل، ومثل هذا الكلام يمكن قوله عن الزّجاجي في المجمل، والأزهري في تهذيب اللّغة.

أمّا ابن جنّي في كتابه (سر صناعة الإعراب)، فقد كان لأستاذه أبي علي الفارسي كسيبويه بالنّسبة للخليل، إذ شرح الكثير من علمه، وبسّط ابن جنّي في كتابه الكثير من كلام سيبويه وشرحها، وإن كان ينقل عن الخليل على الرّغم من وسمه كتاب العين بالاضطراب، وقد عرف في كتاب الصّوت، وتناول الحروف حرفا حرفا وأفرد قسما منه للصّوائت، وبعد ابن جنّي لم يضف النّحاة جديدا، كما نجد عند الزّمخشري في كتابه (المفصّل) وشرحه عند ابن يعيش.

ثانيا: الاتّجاه التّجويدي: استثمر علماء التّجويد جهود علماء النّحو والصّرف في القراءات القرآنيّة، وقد نشأ علم التّجويد في القرن 04 هـ، وهو أسبق من علم القراءات القرآنيّة الّذي هو علم سماعيّ مبنيّ على قراءات منقولة مشافهة من لدن النّبي، وهي وجوه سماعيّة لا علاقة لها بالقياس، يُشترط فيها اتّصال السّند وموافقة رسم المصحف وقواعد العربيّة.

بدأ هذا الاتّجاه مع (موسى الخاقاني) صاحب أوّل منظومة في علم التّجويد، و(ابن مجاهد) صاحب السّبعة في القراءات الّذي يعود إليه الفضل في إرساء قواعد هذا العلم، إنّ غاية علم التّجويد هو تطبيق المعلومات الصّوتيّة، والنّحويّة، وتدريب الطّلبة على آداء قراءة القرآن الكريم بشكل صحيح كما وردت عن النّبي(ﷺ)، ويبقى علم التّجويد علم تطبيقيّ هدفه تعليميّ بامتياز، ويبرز كتاب (الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة) لمكي بن أبي طالب القيسي وهو كتاب نادر في بابه عُرف بآداب قراءة القرآن، ثمّ تحدّث عن صفات الحروف العربيّة، وبعض التّطبيقات الصّوتيّة كالإدغام، وأحكام النون السّاكنة والتّنوين. ومن رواد هذا الاتّجاه أبو عمرو الدّاني في كتبه كـ: المحكم في نقط المصحف، ومرسوم قراءة أهل

الأمصار، وابن البنان، وابن الجزري صاحب كتاب النّشر في القراءات العشر، والقاضي زكريا الأنصاري ومن المحدثين نجد: الدّكتور غانم قدوري الحمد في دراسته (الدّراسات الصّوتيّة عند علماء التّجويد).

ثالثا: الاتّجاه البلاغي: رواده المفسرون والبلاغيون الّذين اعتنوا بقضيّة إعجاز القرآن كالخطابيّ والرّماني، والجرجانيّ صاحب دلائل الإعجاز، وابن الأثير، وابن سنان الخفاجي، في سر الفصاحة، وبهاء الدّين السبكي، وأبي هلال العسكري في كتابه (الصّناعتين)، وقد تناول هؤلاء قضية انسجام الحروف عند تأليف الكلمة العربيّة، وفصاحة الحروف، والايقاع الموسيقي الّذي تتركه في الكلمة.

رابعا: الاتّجاه العلميّ: كان الاتّجاه العلميّ ولا يزال محدود الأثر في الدّراسات الصّوتيّة العربيّة، وأثره مستجلب متأثّر بالتّرجمة من علوم الأمم الأخر، كالطّب والتّشريح، وتبدو رسالة (ابن سينا) في (أسباب حدوث الحروف) يتيمة ونادرة في بابها، فهي لم تتأثّر بجهود عربيّة سبقتها، ولم تؤثّر في ما بعدها، وتبقى جهدا يستحق التّنويه والإشادة من هذا العقل المسلم الّذي بنى حضارة استوعبت ما سبقها.

المحاضرة رقم 09: الاتّجاه اللّغويّ في دراسة الأصوات العربيّة (ابن جنّي).

تمهيد: عرّف ابن جنّي اللّغة بقوله: " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، وهو تعريف هام ودقيق كونه يشير إلى أبرز الجوانب المميزة للّغة، فهو يؤكد في تعريفه هذا ما يأتي:

– الطّبيعة الصّوتية للّغة؛

– الوظيفة الاجتماعية للّغة في التّعبير ونقل الفكر؛

اختلاف البنية اللغوية باختلاف المجتمعات الإنسانية.

وتعتبر هذه الجوانب الثّلاثة التعريفات الحديثة للغة، والذي يهمنا في هذا المقام أولها (الطّبيعة الصّوتيّة للّغة)، فقد نظر ابن جني إلى اللغة على أنها أصوات يقوم بها البشر للتّفاهم في ما بينهم حين يتخاطبون، والأساس في الظاهرة اللغوية هو النطق، وهو أساس تقوم عليه أكثر الدراسات المعاصرة في علم الأصوات.

وابن جنّي هو أوّل من جعل الأصوات علما، ولقد وردت تسمية (علم الأصوات) في كتابه المعروف بـ: سر صناعة الإعراب وهو أوّل كتاب مستقل مؤلّف في علم الأصوات، ولم يعرف العرب قبله كتابا موقوفا على دراسة الأصوات وحدها، وقد جاء كتاب (سر صناعة الإعراب) موضّحا لمعالم الدّراسات الصّوتيّة الّتي عُني بها أهل اللّغة، ووسّعوا مجال القول فيها، ووسّعوا مجال القول فيها وقوي تأثيرها في فروع الثّقافة الأخرى.

ونهض ابن جنّي بأعباء الصّوت اللّغوي، إذ تجاوز مرحلة البناء والتّأسيس إل مرحلة التّأصيل والنّظريّة، فقد تعرّض لقضية الأصوات في كتابه (سر صناعة الإعراب) ممّا جعله في عداد المبدعين وخطّط لموضوعات الصّوت ممّا اعتبر فيه من المؤصّلين، ويجدر بنا أن ننتبه لملاحظتين مهمتّين ونحن نستعرض لأفكاره في الدّرس الصّوتي في كتابه (سر صناعة الإعراب).

1. إنّ ابن جنّي كان أوّل من استعمل مصطلحا لغويّا للدّلالة على هذا العلم لازلنا نستعمله حتّى الآن وهو علم الأصوات.

2. إنّ ابن جنّي يعدّ الرّائد لمدرسة الأصوات العربيّة إذ كان عل حق لما قال في كتابه: "وما علمت أنّ أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع."

وبدءا من المقدّمة يعطيك ابن جنّي منهجه الصّوتي لتقرأ فيه فكره وتلتمس فلسفته وتتثبّت من وجهته فيذكر أحوال الأصوات في حروف المعجم العربيّ في قوله: "في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها، ورخوها، وصحيحها ومعتلها ومطبقها ومنفتحها، وساكنها ومتحرّكها، ومضغوطها ، ومهتوتها، ومنحرفها، ومشربها، ومستويها، ومكرّرها ومستعليها، ومنخفظها، إلى

غير ذلك من أحكامها وأجناسها." يعطينا ابن جنّي في هذا الاسترسال السلس مهمّة الفكر الصّوتي في تحقيق المصطلحات بعامّة عن طريق تشخيص المسميات الّتي أسماها، وإن سبق إل بعضها كلّ من الخليل وسيبويه وهو لا يكتفي بهذا القدر حتّى يبحث في الفروق، ويعيّن المميّزات، ويذكر الخصائص لكلّ حرف من هذه الأصناف، ويفرّق بينها وبين الحركات مع لوازم البحث ومقتضياته إلماما بجميع الجوانب، وتنقيبا عن كلّ النوادر المتعلّقة بهذه الأبواب فيقول: "وأذكر فرق بين الحرف والحركة، وأين محلّ الحركة من الحرف، هل هي قبله، أو معه، أو بعده؟ وأذكر أيضا الحروف الّتي هي فروع مستحسنة والحروف الّتي هي فروع مستقبحة والحركات الّتي هي فروع متولّدة عن الحركات كتفرع الحرف من الحرف، وأذكر أيضا ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج ما، فإذا حُرّك أقلقته الحركة وأزالته عن محلّه في حال سكونه، وأذكر أيضا أحوال هذه الحروف في أشكالها، والغرض في وضع واضعها وكيف ألفاظها ما دامت أصواتا مقطّعة، ثمّ كيف ألفاظها إذا صارت أسماء معرّبة، وما الّذي يتوالى فيه إعلالان بعد نقله. ممّا يبقى بعد ذلك من الصّحة على قديم حاله، وما يمكن تركّبه ومجاورته من هذه الحروف مما لا يمكن ذلك فيه، وما يحسن وما يقبح فيه ما ذكرنا، ثمّ أفرد في ما بعد لكلّ حرف منها بابا أعترف فيه ذكر أحواله وتصرّفه في الكلام من أصليّته وزيادته، وصحّته، وعلّته، وقلبه إلى غيره، وقلب غيره إليه."

إنّ هذا المنهج يكشف لنا عن عمق الفكر الصّوتي عند ابن جنّي إذ يعرض فيه عصارة تجاربه الصّوتيّة بطريقة دقيقة ومنظّمة، ويتفرّع لبحث أصعب المشكلات الصّوتيّة بترتيب دقيق ينتقل من خلاله من الأدنى إلى الأعلى، ومن البسيط إلى المركّب حتّى تكاملت الصّورة لديه، بدأ بالبحث المركّز فلا ترى حشوة ولا نبوة، ولا تشاهد تكرارا أو إجترارا تحسّ وكأنّك بين يدي مناخ جديد مبوب بأفضل ما يراد من التّصنيف والتّأليف، فلا تكاد تستظهر علما مما أفاض حتّى يلاحقك علم مثله كالسّبل اندفاعا ولعل أبرز ما تعقّبه في (سرّ صناعة الإعراب) ما يليّ:

- فرّق ما بين الصّوت والحرف؛
- ذوق أصوات الحروف؛
- تشبيه الحلق بآلات الموسيقى (الميزمار العود)؛
- اشتقاق الصّوت والحرف؛
- الحركات أبعاض حروف المدّ؛
- العلل وعلاقتها بالأصوات؛
- مصطلحات الأصوات العشرة الّتي ذكرها آنفا مع ما يقابلها؛
- حروف الذّلاقة؛
- حسن تأليف الكلمة من الحروف (الفصاحة)؛

– خصائص كلّ صوت من حروف المعجم.

وهذه هي أهم الأصول العامّة لمباحث الصّوت اللّغوي عند ابن جنّى.

أوّلا: لقد تتبعّ ابن جنّي الحروف في المخارج ورتّبها ونظّمها عل مقاطع مستفيدا بما ابتكره الخليل؛ إلّا أنّه كان مخالفا له في التّرتيب، وموافقا لسيبويه في الأغلب إلّا في مقام تقديم **الهاء** على **الألف**، وتسلسل حروف الصّفير، وترتيب الحروف عند ابن جنّي على النّحو الآتي: ء، ا، هـ، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج ش، ي، ض، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و. ويبقى هذا التّرتيب مخالف لترتيب الخليل، وفيه بعض المخالفة لسيبويه في ترتيبه وابن جنّي، لا يخفى هذا الخلاف بل ينصّ عليه ويذهب إلى صحّة رأيه دونهما فيقول في ذلك: "فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصّحيح، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خلط واضطراب، ومخالفة لما قدّمناه آنفا مما رتّبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصّواب الّذي يشهد التّأمّل له بصحّته."

ثانيا: ويضيف ابن جنّي إتماما لنظريّته في الأصوات ست أحرف مستحسنة على حروف المعجم العربيّ، وثمانيّة أحرف فرعيّة مستقبحة، ولا يصحّ ذلك عنده إلّا بالسّمع والمشافهة حتّى تكون حروف المعجم مع الحروف الفرعيّة المستحسنة خمسة وثلاثين حرفا، وهما مع الحروف الفرعيّة المستقبحة ثلاثة وأربعون حرفا.

ولا معنى لهذه الإضافات من قبله لو لم يكن معنيا بالصّوت، فحروف العربيّة تسعة وعشرون حرفا لاشكّ في هذا، ولكن الحروف المستقبحة والمستحسنة الّتي أضافها، وإن لم يكن لها وجود في المعجم العربيّ إلّا أنّ لها أصواتا في الخارج عند السّامعين، وهو إنّما يبحث فب الأصوات، فأثبتها فعادت الأصوات في العربيّة عنده ثلاثة وأربعين صوتا، وهو إحصاء دقيق، وكشف جديد وتثبيت بارع.

وقد ذهب ابن جنّي في هذه الحروف مذهبا فنّيا تدّل عليه قرائن الأحوال فهو يعطي استعمالها في مواطنه، وتشخيصها في مواضعه، فالحروف المستحسنة عنده يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام وهي: النون الخفيفة، ويقال الخفّية، والهمزة المخفّفة، وألف التّفخيم، وألف الإمالة، والشّين الّتي كالجيم، والصّاد الّتي كالزّاي، والحروف الفرعيّة المستقبحة وهي فروع غير مستحسنة، ولا يُؤخذ بها في القرآن ولا في الشّعر، ولا تكاد توجد إلّا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة وهي: الكاف الّتي بين الجيم والكاف، والجيم الّتي كالكاف، والجيم الّتي كالشّين، والضّاد الضّعيفة، والصّاد الّي كالسين، والطاء الّتي كالتّاء، والظّاء الّتي كالثّاء، والباء الّتي كالميم."

ثالثا: ويحصر ابن جنّي مخارج الحروف في ستة عشر مخرجا ناظرا إلى موقعها في أجهزة النّطق ومنطلقا معها في صوتيتها، ويشير ذلك بكلّ ضبط ودقّة وأناقة وهي:

1 . من أسفل الحلق وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء.

2. من وسط الحلق مخرج العين والحاء.

3. من أدنى الحلق مع أول الفم مخرج الغين والخاء.
4. من أقصى اللسان مخرج القاف.
5. من أسفل من ذلك وأقرب إلى مقدم الفم مخرج الكاف.
6. من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.
7. من أول حافة اللسان. وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.
8. من حافة اللسان، من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، فويق الضاحك، مخرج اللام.
9. من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون المتحركة.
10. من فويق مغارز الثنايا مخرج الراء.
11. بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.
12. بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.
13. بين أطراف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.
14. من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.
15. مما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.
16. من الخياشيم مخرج النون الخفيفة الساكنة.

أسقط ابن جنّي الجوف كما هو الحال عند سيبويه وأصحابه وكذلك الشّاطبيّ. كما تحدّث ابن جنّي عن مصدر الصّوت وكيفيّة حدوثه، وطريقة خروجه، وعوامل تقاطعه، واختلاف جرسه بحسب اختلاف مقاطعه، وبذلك يعطينا الفروق المميّزة بين الأصوات والحروف لما قال: "اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج من النّفس مستطيلا..." فهذا العرض في إحداث الصّوت كشف لنا عن مصطلح حديث عند الأوروبيين هو (المقطع).

إنّ التّوّصل إلى حدود المقطع وتعريفاته عند الأوروبيين هو الّذي ذهب إليه ابن جنّي، وأضاف إليه ذائقة كلّ مقطع وقال: "وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحرّكا لأنّ الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقرّه، وتجتذبه إلى جهة الحرف الّتي هي بعضه، ثمّ تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله؛ لأنّ السّاكن لا يكمن الابتداء به فتقول اِكْ، اِفْ، اِجْ، وكذلك سائر الحروف، إلّا أنّ بعض الحروف أشدّ حصرا للصّوت من بعضها." وهذا ما نعتره ابتكارا لم يسبق إليه والمدهش حقا عند ابن جنّي أن يهتدي إلى سرّ المقطع من خلال تصريفه لشؤون الحركات، فهو يعتبر الحركة صوتيا تتبّع الحرف، فتجد بهما الصّوت يتبّع الحرف.

رابعا: جهاز الصّوت المتنقّل عند ابن جنّي: يتحدّث ابن جنّي عن جهاز الصّوت المتنقّل أو مجموعة الأجهزة الصّوتيّة في الحلق والفم وسماعنا تلك الأصوات المختلفة وذلك عند ذائقته للحرف العربيّ ووحداته الاختلاف في أجراسه والتّباين في أصدائه فشبّه الحلق بالمزمار، ووصف مخارج الحروف ومدارجها بفتحات هذا المزمار، وتتوجّه عنايته بمجرى الهواء في الفم عند إحداث الأصوات ويشبهه بمراوحة الزّامر أنامله على حروف النّاي لسماع الأصوات المتنوّعة والمتشعّبة بحسب تغيّره لموضع أنامله لدى فتحات المزمار فقال ابن جنّي: "فإذا وضع الزّامر أنامله على خروق النّاي المنسوقة وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات، وسمع لكلّ منها صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصّوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة."

لقد كان ابن جنّي موضوعيا في وصفه لجهاز النّطق المتنقّل في الأصوات ممّا جعله في عداد المؤسّسين، ويتمرّس ابن جنّي بعض الحقاق الصّوتيّة، ولكنّه يعرضها بحذر ويقظة وقد يُنسبها إلى بعض النّاس، وما يدرينا فلعلها له لأنّه من بعضهم إلّا أنّ له وجهة نظر قد تمنعه من التّصريح بها لأسباب عقيديّة، فهو تح{ث عن:

– صدى الصّوت في بداية تكوين اللّغة وأثر المسموعات الصّوتيّة في نشوء الأصوات الإنسانيّة؛

– يربط بين الأصوات الإنسانيّة وبين أصداء الطّبيعة حينا، وأصوات الكائنات الحيوانيّة حينا آخر؛

– يربط بين الصّوت والفعل تارة، وبين الصّوت والاسم تارة أخرى، ويبحث عن علاقة كلّ منهما بالآخر علاقة حسّية ومادّيّة متجسّدة.